ALEXANDRIA
SCHOOL
JOURNAL
الكتاب الأول
مجلة مدرسة الإسكندرية
اللاهوتي
و
معرفة الله
في فكر القديس غريغوريوس اللاهوتي

الكتاب الأول

مجلة مدرسة الإسكندرية

اللاهوتي و معرفة الله

في فكر القديس غريغوريوس اللاهوتي

كتاب: اللاهوتي ومعرفة الله
في فكر القديس غريغوريوس اللاّهوتي
عن مقالتين نشرتا بمجلة مدرسة الإسكندرية في العددين الخامس والسادس (منقّحة)
إعداد: مركز الأبحاث بمجلة مدرسة الإسكندريّة [ISSN: 1687-9902]
توزيع المجلة: الأستاذ بنيامين / ت: ٠١٢٧٦٩٦١٤٠
الاشتراكات البريدية: الأستاذ ناجي نبيل / ت : ٠١٢٦٠٩٩٥٥٠
alex.sch.shipment@gmail.com

طبع بمطبعة الدلتا
تصميم الغلاف: راهب بدير السيدة العذراء برموس
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١١/١٦٨٤٦
رقم الإيداع الدولي: 977- 5088 - 83 - 9
© حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
أكتوبر ٢٠١١

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مُقدّمة

تهدف سلسلة الكتابات التي تصدرها مجلة مدرسة الإسكندريّة إلى توسيع رقعة المعرفة الروحيّة النابتة من وعي أكاديمي رصين يصمد أمام تحديّات المجتمع وعصفه الفكري حتى يكون إنسان الله راسخًا على صخر الحقّ؛ الربّ يسوع، وفي شركة مع الثالوث.

تمتد تلك السلسلة لتشمل/

أولاً: المجال الكتابي بملحقاته لتأسيس مفاهيم إنجيليّة مستقيمة تعبِّر عن القصد الكتابي العام.

ثانيًا: المجال الآبائي بما ينضوي عليه من نصوص ودراسات لضبط إيقاع الفهم الكتابي على المعايشة الكنسيّة عبر العصور.

ثالثًا: المجال اللّيتورجي المعبِّر عن جوهر العبادة في الكنيسة منذ نشأتها وإلى الآن، من خلال عرض النصوص القديمة ودراستها وربطها بالممارسة الآنية.

هدفنا ليس هو تراكم المعارف العقليّة، بل تحويلها بالاختبار الروحي إلى روح وحياة كما أراد المسيح من كنيسته المحبوبة. لذا فإنّ الشعار سيبقى لنا دائمًا:

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

إش ٧: ٩

فالإيمان يحصّن المعرفة ويصيّرها معرفة للخلاص

مدخل

لقد حفلت كتابات القديس غريغوريوس النزينزي بالحسّ اللاّهوتي والذي انعكس في تعليمه، ممّا جعله أهلاً للقب "الناطق بالإلهيات". من هنا نستشرف أهميّة دراسة فكره في هذا الإطار.

إنّ القديس غريغوريوس لم يتبنْ الفكر اللاّهوتي المُنعزِل عن الاختبار الروحي، إذ كان اللاّهوتي، في نظره، هو مَنْ يجتاز مرحلتي التطهُّر والاستنارة حتى يصل إلى المعرفة الإلهيّة. ومَنْ يُطالع كتابات القديس غريغوريوس يرصُد خبرة نُسكيّة مُدوَّنة ومرتبطة ارتباطًا جوهريًّا بمعرفة الله، وهو ما صدرت فيه الكثير من المؤلّفات الدراسيّة في القرن العشرين. وقد لاحظ العَالِم *Jean Plagnievx* أنّه، في فكر القديس غريغوريوس النزينزي، لا يمكننا الفصل بين حديثه اللاّهوتي عن معرفة الله وبين وسائل التطهُّر التي من خلالها تنفتح آفاق الاستنارة على السرِّ الإلهي. ولعلّ مَنْ يقرأ عظاته اللاّهوتيّة (٢٧ ـ ٣١)، يجد دفاعًا رصينًا عن عقيدة الثالوث، قد استهلّه بمقدّمة بلاغية تُؤكّد على أهميّة النقاوة كمدخل للاستنارة الإلهيّة.

إنّ العلاقة بين اللاّهوت والتطهُّر ومن ثمّ الاستنارة هو ما سنتناوله بالتفصيل، مستعينين بالفصل الأوّل من كتاب Beeley:

Christopher A. Beeley, *Gregory of Nazianzus on the Trinity and the Knowledge of God,* Oxford university press.

ليت الله يهبنا استنارة النعمة حتى نعاين مجده غير الموصوف وغير المدرك لتسبيح اسمه مدى الدهور ..

اللاّهوتي وحياة النقاوة

ضرورة حياة النقاوة

إنّ التقاء موسَى باللّه على جبل سيناء هو النموذج الذي يُورده القديس غريغوريوس للإشارة إلى التحوُّل الذي يحدث للمسيحي، وما يتبعه من نموٍ في معرفة اللّه، إذ يقول:

> "أنا أصعدُ إلى الجبل باشتياقٍ شغوفًا بأملٍ، ولكنّي في نفس الوقت خائفٌ بسبب ضعفي، لأدخل السحاب وألتقي اللّه، كما يأمر هو. فهل من هارون يصعد معي ويقف الى جانبي، وإن اضطرّ أنْ يبقَى خارج السحاب. هل من ناداب أو أبيهو أو أحد الشيوخ، ليصعد ويقف بعيدًا على قدر نقاوته κάθαρσις. ولكن إنْ كانوا من الجمهور وغير مؤهّلين لذلك التأمُّل الفائق - غير طاهرين ἀναγνος - فلا يقتربوا أبدًا، لأنّ ذلك ليس آمنًا. ولو كان أحد قد تنقّى على الأقل في ذلك الحين، ليبقَى أسفل ويسمع فقط الصوت والبوق، وكلمات التقوى فقط، ولينظر إلى الجبل وهو يُدخِّن ويُومِض، إنّه رعبٌ وعجبٌ لِمنْ لا يستطيعون الصعود، وفي الوقت نفسه مَبْعَث تعجُّب وإعجاب"[1].

إنّ القديس غريغوريوس كأسقفٍ، مُثقَّل بهمِّ التعليم، فضلاً عن خدماته الليتورجيّة والرعويّة، وقد حاول جاهدًا أنْ يقود شعبه إلى تلك المعرفة الإلهيّة، مؤكّدًا على عموميّة وشموليّة تلك الدعوة. فقد أوَّل

---

[1] Oration 28.2

النصَّ الكتابي السابق مُستخدمًا إياه لشرح أُطر لاهوتيّة وعقائديّة، فضلاً عن إرساء مبادئ روحيّة من خلال الإشارة إلى العَلاقة الجوهريّة بين تناول اللاهوت والنقاوة الشخصيّة. فمقياس المعرفة ليس الحصيلة الذهنيّة ولكن مدى النقاوة ومن ثمّ الاستنارة. وكما يبدو من طرح القديس غريغوريوس فإنّ الصعود إلى الجبل هو الدعوة العامة ولكن المشروطة بالنقاوة والتي تتفاوت، ويتفاوت معها مدى الاقتراب، مُشدّدًا في الوقت ذاته على الخطر الذي يُحدق بمَنْ يقترب دون النقاوة[٢].

وفي مثالٍ آخر، نجده يُشير إلى لوحي الحجر في يد موسَى النبي كرمز للمعرفة الإلهيّة؛ فالوجه الخارجي المنقوش من الحجر هو المنظور لمن هم أسفل، بينما الوجه الداخلي لا ينظره إلاّ من قطعوا شوطًا في حياة النقاوة. تلك الفكرة وجدت لها مكانًا في نصوص الكتّاب المسيحيين اللاّحقين؛ مثل مؤلّف القديس غريغوريوس النيسي، حياة موسى.

وفي سياق الجدل اللاّهوتي الذي كان يصبغ تلك الحقبة، نجده يشير إلى الذين يحاربون العقيدة، واصفًا إياهم بالوحوش، هؤلاء يُحذّرهم القديس غريغوريوس ليفرّوا من الجبل بعيدًا، خوفًا من أنْ تسحقهم كلمة الحق. من هؤلاء؛ أفنوميوس، الذي أنكر إلوهيّة كلّ من الابن والروح القدس، والذي عُرِفَ عنه مناوئته للقديس

---

[٢] هنا استعان القديس غريغوريوس اللاّهوتي بتحليل العلاّمة أوريجانوس الذي ميّز فيه بين الإيمان البسيط الذي يعتمد على المعنَى المباشر وبين الإيمان الأعمق الذي يعتمد فهم ما وراء النصّ الكتابي من إشارات. وقد رأى العلاّمة أوريجانوس أن المؤمنين المبتدئين يدركون فقط المعنَى المباشر وليس روح السفر. Cf. *Princ.* 4.2.1-2.

غريغوريوس، فضلاً عن أصحاب عقيدة الشبيه بالجوهر وهم أحد أفرع الأريوسيّة التي كان لها صوتٌ في مدينة القسطنطينيّة[٣].

ويتّفق التقليد السكندري وبالأخص كتابات القديس كليمندس والعلاّمة أوريجانوس[٤] مع فكر القديس غريغوريوس والذي يُشدِّد على العَلاقة بين الحديث اللاّهوتي ونقاوة الشخص وهو ما يَظْهَر في عظته السابعة والعشرين، إذ يقول:

> "ليس لكلّ إنسان من الناس، ليس لكلّ إنسان أنْ يتفلسف عن معرفة الله، ليس ذلك أمرًا زهيد الثمن، ولا هو من شأن الزاحفين في التراب[٥]. كما أنه ليس واجبًا في كلّ حين، ولا أمام الجميع ولا في كلّ شيء. ليس ذلك من شأن كلّ الناس، بل من شأن الذين تمرّسوا على التأمُّل وارتقوا فيه، وقبل ذلك، من شأن الذين طهَّروا النفس والجسد أو الذين هم، على الأقل، في طريق ذلك التطهير. لأنه من الخطر أن يمسّ غير الطاهر شيئًا طاهرًا، كما هي حال العيون الضعيفة أمام أشعة الشمس" [٦]

إنّ معرفة الله ليست نظريّة، ولكنها عمليّة تحوُّل مستمر، لذا فإنّ محاولة المعرفة بمنأى عن ذلك التحوُّل هي التي تؤدِّي إلى امتلاك العلم الذي ينفخ بحسب تعبير القديس بولس (انظر: ١كو٨: ١). ويُقدِّم القديس غريغوريوس تلك الفكرة في عظته العقائديّة الأولى والتي ألقاها في

---

[3] John Macgukin, *St.Gregory*, p. 277; Norris, *Faith Gives Fullness*, p. 108.

[4] Cf. Origen's Comm. in Jn.: 10.40.283; Princ.: 1.1.7 ; Cels.: 6.69; ad hoc Moreschini, *Filosofiae Letteratura*,pp. 100-112.

[٥] أي الذين لم يستطيعوا أن يتخلّصوا من أهوائهم ومشاغلهم الأرضية.

[6] Orat. 27.3

مدينة القسطنطينيّة[٧] مُنطلقًا من العبارة الأفلاطونيّة القائلة بأنّه؛ "يجب على الشخص أن يُطهِّر نفسه وحينئذ يقترب ويلمس ما هو طاهر" [٨].

كيف يحيا الإنسان حياة النقاوة:

إنّ النقاوة مطلب إنجيلي، كما أنّ التطهُّر κάθαρσις هو ضرورة مسيحيّة تظهر في التغيُّر الذهني والسلوكي والحياتي للمسيحي. ليست هناك شروط خاصة للنقاوة فالكلّ مدعو لاجتياز تلك الخبرة، إذ يقول القديس غريغوريوس: "رجل وامرأة، مُسن وشاب، ساكني المدن والقرى، المواطن الخاص والقائد العام، الفقير والغني. إنّ الفكرة ذاتها [النقاوة] تدعونا جميعًا. لذا دعونا نُغيِّر حياتنا" [٩].

إنّ النقاوة هي حراك دائم وتغيُّر مستمر وهو ما يطرحه القديس قائلاً: "قدِّم نفسك الآن كشخصٍ جديدٍ، مختلف في الصفات، مُتغيِّر تمامًا ... يجب أنْ تكون في تحوُّل دائم، ونمو، تكون خليقة جديدة، تائبًا حين تُخطِىء، مُتقدِّمًا للأمام إنْ كانت حياتك فاضلة" [١٠].

في عظته الثانية عن الظهور الإلهي، يُقدِّم لنا القديس غريغوريوس رؤيته حول ضرورة التطهُّر للقاء الله، مُستخدِمًا تعبيرات ما بين المخافة والنقاوة والامتلاء والاستنارة، هنا ينكشف السرُّ الإلهي المكتوم منذ

---

[7] Orat. 20.4
[8] *Platonis opera*, ed. J. Burnet, vol. 1. (Oxford, Clarendon Press: 1900) Phaed. 67 b. ad hoc Gregory's orat. 2.71; 39.9.
[9] Orat. 19.6
[10] Orat. 44.8

الدهور، فيبدأ المسيحي في الإنارة لمَنْ هم حوله عن تلك المعرفة الساميّة، إذ يقول:

"أمّا نحن فقد أُعطيَت لنا النعمة لكي نهرب من ظلمة هذه الشرور ونحيا في الحقّ ونخدم الله الحي الحقيقي. وهكذا نسمو فوق الخليقة، وفوق كلّ ما هو زمني، لنتأمّل في الله والأمور الإلهيّة بما يليق بالنعمة التي فينا. وقبل أنْ نناقش هذه الأمور ينبغي أولاً أن نبدأ فلسفتنا حيث يقودنا سليمان، القائل: « الحكمة هي الرأس، فاقتن الحكمة » (أم ٤: ٧). وماذا كان يقصد هو بقوله: « رأس الحكمة مخافة الله » (أم ١: ٧). لا ينبغي أن نبدأ بالتأمُّل العقلاني طارحين مخافة الله. فالتأمُّل خارج حدود التقوى يوقع الإنسان في هوّة عميقة. لذا يجب أنْ نمتلِىء ونتنقّى بالمخافة فنستنير به، حينئذ يُؤهَّل الإنسان إلى ما هو أسمَى. حيث تُوجد المخافة، تُحفَظ الوصايا، وحيث تُحفَظ الوصايا يتنقّى الجسد الذي هو سحابة تُغطّي النفس وتحجب عنها النور الإلهي. ولكن حيثما توجد النقاوة توجد الاستنارة، والاستنارة هي شبع الذين يطمحون في الأمور العظمَى، أو بالحري إلى الكائن الأعظم الذي يسمو فوق كلّ عظمة. فنحن إذن لا نستطيع أن نلتقي مع الطاهر ما لم نُطهِّر أنفسنا أولاً، وما لم تكن لنا خبرة بني إسرائيل (خر٣٤: ٣٠)، الذين لم يقدروا أن ينظروا وجه موسى (٢ كو٣: ٧) فطلبوا منه أن يضع برقعًا على وجهه ... إنّ الكلمة هو في طبيعته مُخيف لغير المستحقين، ولكنه في محبّته وحنانه يمكن لهؤلاء، الذين قد تحوّلوا بالطريقة التي وصفناها، من الاقتراب إليه، الذين قد نفضوا عنهم كلّ ما

هو دنس، والأهواء العالميّة من نفوسهم، وقد كنسوا وزيّنوا نفوسهم بمحاسبة النفس ... والذين يهربون جانبًا من الشرير ويصنعون الفضائل ويجعلون المسيح يسكن داخلهم بالكليّة، أو على الأقل بقدر الإمكان وعندئذ نكون قد أنرنا أنفسنا بنور المعرفة. لذا دعنا نتكلّم عن حكمة الله المكتومة في سرٍ (١كو٢: ٧) ونُضيء للآخرين. تعالوا نُنقّي أنفسنا ونكون مُتّجهين نحو الكلمة، حتى ونحن قد عملنا الصلاح بقدر جهدنا، تصير نفوسنا على صورة الله ونستقبل الكلمة داخلنا عندما يأتي، ليس فقط نتقبّله، بل بالحقيقة نتمسّك به في داخلنا ونُظهره لآخرين"[11].

لقد وصف القديس غريغوريوس النقاوة كعمليّة مستمرّة أو سلسلة متتابعة من الارتقاء السلوكي ومن ثمّ الروحي، وهو ما يتأتّى بحفظ الوصايا. فالمسيحي الذي يخضع لعمليّة التطهُّر يستنير بالضياء الإلهي، فيحدث له تحوُّل سلوكي ظاهر للجميع.

"فالطاهر هو مَنْ يمكنه الاقتراب من الله بالطريقة التي يحياها؛ أي من خلال التطهُّر. أتريد أن تصير لاهوتيًّا يومًا ما، وتكون جديرًا [بمعرفة] اللاّهوت، احفظ الوصايا. اجعل طريقك مستقيمًا من خلال التأمُّل في الوصايا حيث إنّ الأعمال πράξις المسيحيّة هي درجات الارتقاء إلى الثيؤريا (التأمُّل في الإلهيّات) θεωρία"[12].

وما التطهُّر سوى الإماتة التي يحياها مَنْ أراد أنْ يشْخَص في الله؛ إماتة أعضاء الإنسان العتيق والتهيُّئ للقيّا الله الكلمة واستقباله في

---

[11] Orat. 39.8-10
[12] Orat. 20.12

منزل النفس، وقتها يستشعر المسيحي بنسمات الخلاص تهبُّ على حياته مُحمّلةً بأريج الأبديّة العطر.

وقد تحدّث القديس غريغوريوس عن تلك الإماتة في تأمُّله لحادثة لقاء زكّا بالمخلّص (لو٩: ١ - ١٠)، إذ يقول:

"مَنْ أراد أنْ ينظر إلى الربِّ يسوع - حتى لو كان قصير القامة مثل زكّا - فعليه أنْ يصعد إلى أعلى الجميزة، أي يميت أعضاءه التي على الأرض، ويرتفع فوق أدناس الجسد. هكذا يستقبل الله الكلمة ويسمع منه هذه الكلمات « اليوم حصل خلاص لهذا البيت ». حينها يمسك بالخلاص ويأتي بالثمار المطلوبة"[١٣].

التدريبات الروحيّة التي تُساعد على النقاوة:

الأنقياء هم مَنْ يعاينون الله، هكذا أعلن المسيح ودوَّن الإنجيليون (انظر: مت ٥: ٨)، كما كتب القديس يوحنّا بحسٍّ إسخاطولوجي: « ولكن نعلم أنه إذا أُظهِر نكون مثله، لأننا سنراه كما هو، وكلّ مَنْ عنده هذا الرجاء به، يُطهِّر نفسه، كما هو طاهرٌ » (١يو ٣: ٢ - ٣). وانطلاقًا من الفكر الكتابي عن النقاوة، كتب القديس غريغوريوس:

"لنُنقِّي καθαρίσωμεν أنفسنا من دنس الجسد والروح، لنغتسل ونصير أنقياء. لنُقدِّم أجسادنا وأنفسنا ذبيحة حيَّة

---

[13] Orat. 20.9

مُقدَّسة مقبولة عندالله، فإنّه ليس شيءٌ عزيزٌ على الإنسان النقي ὁ καθαρὸς أكثر من النقاوة والتطهُّر"[١٤].

إنّ الوسائل التي تساعد المسيحي في اجتيازه عمليّة التطهُّر لكثيرة؛ فالتذكُّر الدائم لله والتأمُّل في النصوص الإلهيّة والصلاة[١٥] والتسبيح والشهادة والانسحاق القلبي[١٦]، هي من الأمور التي تعين المسيحي في دورته الروحيّة من التطهُّر وصولاً للاستنارة. ويرسم لنا القديس غريغوريوس، كمعاصريه، خريطةً لتلك الأعمال ويسترسل في شرحها والحديث عن نفعها، تأثُّرًا بالنمط الرهباني السائد آنذاك؛ منها اطعام الفقراء وترتيل المزامير والسهر الليلي الطويل في دراسة الكتب المقدَّسة والتأمُّل في الموت وسِرّ الصليب والآلام[١٧]. إلاّ أنّ التعليم النسكي عند القديس غريغوريوس كان معتدلاً إلى حدٍّ بعيد، يراعي الخطاب العام للجماعة المسيحيّة، فقد تحدّث عن صلاح المشاعر الزوجيّة وسمو العفّة الروحانيّة عن العفّة الجسديّة[١٨].

كما ينصح القديس غريغوريوس الموعوظين بالاستعداد اللاّئق لنوال نعمة المعموديّة من خلال السهر والصوم والصلاة والدموع والتصدُّق على المعوزين والفقراء[١٩].

---

[14] Orat. 11.4
[15] Orat. 27.4
[16] Orat. 16.2
[17] Orat. 27.7
[18] Orat. 27.9
[19] Orat. 40.31

تقديم الإيمان المسيحي في تعبيرات هلّينيّة بهدف الكرازة:

لم يكن القديس غريغوريوس من مناهضي الفلسفة، ولكنه كان بمثابة امتدادًا سكندريًّا في التعامل معها. فقد ورث من سابقيه؛ كليمندس السكندري وأوريجانوس، المفهوم الجديد للفلسفة من حيث كونها طلب الحكمة الروحيّة السامية، فالفلسفة في منطقها المسيحي هي عيش الإنجيل بوعي وإدراك[٢٠]. إذ بعد مغادرته لأثينا وعودته لكبادوكيه، عزم على "العمل بالفلسفة وطلب الحياة السامية"[٢١] مُخضعًا مهارته البلاغيّة والخطابيّة لخدمة التعليم في حقل الكنيسة[٢٢]، مُطوِّعًا إياها لطاعة المسيح. وقد كان الهدف دائمًا من التواصل مع الثقافة المعاصرة، هو تقديم الإيمان المسيحي في قالب ملائم للكرازة؛ هنا وقد قدَّم القديس غريغوريوس الإيمان المسيحي في قالب هلّيني لأغراض تبشيريّة[٢٣]. ولكن صياغة مضمون الإيمان الثابت في إطار معاصر تتطلّب بصيرة ووعي بما يتناسب مع الحقّ الإلهي من تعبيرات وتصويرات وأفكار، وهذا ما برع فيه الآباء السكندريون ومن بعدهم الكبادوك[٢٤]. وقد أشار العديد من العلماء إلى أنّ القديس غريغوريوس كان يستخدم صياغات ثقافيّة فلسفيّة في عظاته بهدف تقديم البشارة المسيحيّة لمجتمعه، وحث سامعيه على التحوُّل إلى معرفة

---

[20] De Vita sua, 320-324
[21] Orat. 7.9
[22] De Vita sua, 270
[23] John Macgukin,*op. cit.*, p. 75
[24] Louis Bouyer, *The Spirituality of the New Testament and the Fathers*, Trans. Mary P. Ryan.(London: Burns and Oates, 1963), 338.

الله. وبالرغم من ذلك، فقد كان دائمًا يُحافِظ على السمة الرسوليّة لفكره اللاّهوتي، وكان ذلك هو الهدف الرئيس لخدمته ورعايته [٢٥].

والقارئ لكتابات القديس غريغوريوس وبالأخص عظتيه الرابعة والخامسة، سيلاحظ مدى إدراكه ووعيه بالمنهج والأفكار الأفلاطونيّة والأرسطيّة وصولاً إلى الأفلاطونيّة الحديثة، وهو ما يظهر في حديثه عن الطهارة حينما اتّخذ العبارة الأفلاطونيّة المُعبِّرة التي تقول: "ممنوع على غير الطّاهر أن يقترب ممّن هو طاهر"[٢٦] مُطبِّقًا إياها على العلاقة التي تحكم المسيحي بالله. وقد وضع مقاربات بين الفلسفة المسيحيّة الحياتيّة والفلسفة اليونانيّة النظريّة، موضِّحًا أنّ الأخيرة لم تصل للحقّ، بينما الأولى قد تبدو بسيطة ولكنها من الداخل سامية وتقود إلى الله[٢٧]، فالمسيحي هو "محبّ الحكمة [الفيلسوف الحقيقي] بالحقّ، على النقيض ممّن تنقصهم تلك الحكمة"[٢٨].

الفلسفة في فكر القديس غريغوريوس هي تفلسف ولكن من نحو الله[٢٩]. فهي ليست قاصرة على شريحة مُعيّنة ولكنها متاحة للجميع من أي خلفيّة اجتماعيّة[٣٠] أو ثقافيّة، فقط ممّن تتّسم حياتهم بفضائل ضبط النفس والصدق والعطاء والسهر والصوم والبساطة والاحتمال

---

[25] Cf. Pinault, Henri: *Le Platonisme de Saint Grégoire de Nazianze. Essai sur Les relations du Christianosme et de L Hellénisme dans son oeuvre théologiqe*, La Roche-sur-Yon, (France: G.Roma, 1925).
[26] J. Burnet, Phaed. 67 b.
[27] Orat. 25.4
[28] Orat. 25.6-7
[29] Orat. 27.3
[30] Orat. 26.10

والصلاة مع الوعي الكامل بالفداء الإلهي الذي أتمّه المسيح قابلاً الآلام عنّا[٣١].

لقد جمع القديس غريغوريوس، كأسقف، ما بين التأمُّل وليد الوحدة والخدمة وليدة العمل الكنسي العّام[٣٢]، مؤكّدًا وجوب الحياة بتوازن واعتدال بين سمو التأمُّل وفاعليّة الخدمة. وقد كان التوازن الروحي في حياة القديس غريغوريوس، فضلاً عن علمه الواسع وثقافته المتّسعة سببًا رئيسًا في تبوئه مكانة عُليا في كلا المجالين؛ الرهباني والرعوي.

القديس غريغوريوس ينتقد العبادات الوثنيّة وشرورها

لم تكن الوثنيّة قد تلاشت بالتمام من كلّ فئات المجتمع حينما كان القديس غريغوريوس أسقفًا، وهو ما يذكره بشيءٍ من الأسَى، إذ تمّ إقصاء المُفكّرين المسيحيين من مراكز التعليم، مع إعادة العبادة الوثنيّة على يد زميل الدراسة القديم يوليان، الذي كان مُشارِكًا في التضحية للآلهة الوثنيَّة[٣٣]. لذا فقد كان يتطرَّق القديس غريغوريوس للحديث عن شرور العبادة الوثنيّة، ناصحًا سامعيه أنْ ينبذوا تلك العبادة معتنقين الإيمان المسيحي[٣٤] فالعبادات الوثنيّة هي غريبة كليَّة عن اللاّهوت المسيحي[٣٥]. من هنا نفهم تأكيده على

---

[31] Orat. 26.11-12

[32] Cf. Orat. 14.4; De Vita Sua 300.311. On Gregory's combination of monastic retreat and priestly service, Cf. Gautier , La retraite.

[33] Daley Brian E., *Early church Fathers: Gregory of Nazianzus*, (London: Routledge, 2006), pp. 6-7.

[34] Orat. 38.4-5; 39. 1-7; 40.3-4

[35] Orat. 26.6-7

الشعب المسيحي بضرورة عدم تأخير العماد[٣٦] لئلا يصيروا عُرضة للعودة للفكر الوثني مرّةً أُخرى. هذا المفهوم نلمحه في عظته عن عيد الأنوار المُقدَّسة، إذ يقول:

"مرّةً أُخرى يا يسوعي! مرّةً أُخرى هو سِرٌّ، سِرٌّ بلا غشٍّ أو تشويش، ولا يمُتُّ بصلةٍ إلى أخطاء اليونانيين أو جنونهم - هكذا أدعوهم كما يفعل كلّ شخصٌ ذو شعور سليم - بل هو سِرٌّ جليلٌ وإلهي ينتمي إلى المجد السماوي. لأن عيد الأنوار المُقدَّسة [عيد الغطاس] الذي قد جئنا لنحتفل به اليوم هو بمناسبة معموديّة مسيحي؛ النور الحقيقي الذي يُنير لكلّ إنسانٍ آتٍ إلى العالم (يو ١: ٩)، هو يسند طهارتي ويُعضِّد النور الذي أخذناه منه في البداية من فوق، ولكن قد أطفأناه وشوَّهناه بالخطيَّة"[٣٧].

يرى القديس غريغوريوس أنّ الصورة الإلهيّة في الإنسان تُوجد داخل النفس، ومن الطبيعي أنّ النفس لا توجد دون جسد، لكنّها سامية عليه نتيجة عمل الله في خليقته. فقد خلق الله أولاً، العالَم العقلي - أي الملائكة - وهو العالَم الأكثر قُربَى لله ثمّ خلق تاليًا، العالَم المادي - أي الأرض - والغلاف الجوّي، وفي آخر الكلّ خلق الله، الإنسان، خلق جسده من المادة ووهبه حياته ووجوده من نسمته الخاصة، فأصبح بذلك الإنسان هو الكائن المخلوق على صورة الله، ونال نعمة الوجود نتيجة لذلك.

---

[36] Orat. 40. 11- 40
[37] Orat. 39.1

ويكمل قديسنا كلامه عن الإنسان قائلاً إنّه "مشهد من الخليقة المرئيّة"، تلك الخليقة الماديّة التي تعمل كلّها للخير وتُمجّد الله بطريقتها. ثمّ يتأمّل بعمق في خلقة الإنسان قائلاً عنه إنّه:

"مَلِك الكائنات على الأرض، ولكنّه مُتوَّج من أعلَى، هو مخلوق أرضي وسمائي في نفس الوقت، هو خاضع للزمان، لكنّه غيرُ مائت [إشارة إلى نعمة عدم الموت]، هو مرئي ومُدْرَك بالعقل، هو موضوع بين اثنين: العظمة والتواضع"[٣٨].

الجسد والنفس في ضوء السقوط وتدبير الخلاص

يرى القديس غريغوريوس أنّ الفساد الذي نتج من السقوط قد لحق بطبيعتنا؛ تلك الطبيعة التي ابتعدَت بدورها منذ تلك اللحظة عن خطة الله الأصليّة لنا منذ البدء. فقد خُلقنا روحًا وجسدًا؛ صورة مركّبة، وذلك من إشفاق الله علينا، لكي إذا ما افتخرنا وتكبّرنا - نظرًا لأنّ طبيعتنا قابلة للسقوط - بسبب أي عظمة أو مجد روحي نجد أنّ الجسد يكون هو الضابط لذلك الافتخار بواسطة المُعاناة والألم الذي نتحمّله فيه، لتكون دافع لتدريبنا وتقديسنا[٣٩].

ويجدُر بنا القول، أنّ هذا لا يجب أنْ يحيد بنا فنقول بأنّ الجسد هو شيءٌ دنسٌ وغير طاهر أو غير مُكرَّم من الربِّ، وقد تنبَّه قديسنا لهذه النقطة جيِّدًا ونجده يُشدِّد في تعليمه؛ كيف أنّ الجسد شريك أساسي للروح في قبول نعمة الخلاص. ولعلّنا نتساءل الآن كيف أنّ الجسد هو رفيق النفس؟ فيُكمِل قديسنا كلامه فيقول، في العظة

---

[38] Orat. 38.11
[39] Idem.

٤١، لكيما نتقدَّم نحو الله، تحتاج النفس إلى الجسد عاملاً معها أثناء جهادها في العالم، فيعيش الاثنان كمُتقبِّلَيْن لنعمة المسيح وعطيّة الروح القدس.

لكي ننال تلك الحياة الأبديّة يجب أنْ نُخضع الجسد وأنْ نُدرِّب حواسه المُختلفة. كيف يمكن ذلك دون شركة مع المسيح في موته وقيامته؟ وهل يتحقّق ذلك دون سرِّ المعموديّة!!

ولكي يستوفي القديس غريغوريوس تلك النقطة الخاصة بالجسد، نجده يُنبِّهنا بأنّ المسيح القائم لا يزال يملك جسدًا وقد ظهر به لتلاميذه بعد قيامته بشكلٍ منظورٍ وملموسٍ وبجسدٍ مُمجَّد بمجدِ القيامة وعدم الفساد[٤٠]. إذن فالمسيحي ليس هو مَنْ يتخلَّص من الجسد[٤١].

بعد كل ذلك، يأتي القديس غريغوريوس ليُقدِّم لنا تعليمًا نقيًّا عميقًا عن الخلاص وتدبير الله، فقد اتّخذ المسيح جسدًا ونفسًا عاقلةً لكيما يُخلِّص كلاً منهما، مع توضيح أنّ النفس تحتاج أكثر من الكلِّ إلى النقاوة نتيجةً لطبيعتها السامية، وأيضًا لأنّ الخطيّة، غالبًا، تبدأ من النفس لأنّها مرتبطة بإرادة الإنسان واختياره الأخلاقي، لذا فهي تحتاج أكثر إلى الشفاء.

وفي نصٍّ من العظات على الظهور الإلهي، يتكلَّم القديس غريغوريوس قائلاً:

---

[40] Orat. 40.45
[41] Orat. 41. 5

"فلنُطهِّر كلَّ عضوٍ يا أخوتي، لنُطهِّر كلَّ حاسةٍ، لا ندع فينا شيئًا دنسًا من ميلادنا الأوَّل، لا ندع فينا شيئًا غير مُضيء".

وقد كان كثيرًا ما ينصح من أجل العمل على نقاوة الحواس وأعضاء الجسد، حتّى يمكننا أنْ نُقدِّم أعضاءنا الأرضيّة لله (كو٣: ٥)، وكلّ رغباتنا الطبيعيّة تصير روحيّة[٤٢].

إنّ المسيح يُخلِّصنا بصيرورته إلى ما نحن عليه وهو يشفينا بأخذ بشريتنا المنكسرة لنفسه، فما لا يُؤخَذ لا يُخلَّص، ويؤكّد القديس غريغوريوس على أنّ الجسدَ جزءٌ ضروريٌّ من الكيان الإنساني الذي جاء الربُّ يسوع لأجل فدائه. ففي بداية العظة التاسعة والثلاثين يتكلّم عن تطهير الجسد، ثمّ بعد ذلك يتكلّم عن عملية طرد الأرواح الشريرة من النفس لكي يسكن فيها المسيح[٤٣]. وفي عظته الرثائيّة لأخيه قيساريوس في نياحته يُكمِل قائلا:

"ثمّ بعد ذلك بقليلٍ، تتسلّم النفس جسدها [رفيقها]، التي اشتركت فيما مضَى [معه] في السعي للأمور العُليا، من الأرض التي أُخِذَ منها وقد أُؤتمِنَ معها، وبطريقةٍ معروفةٍ لله الذي ربطهما معًا ومزجهما، حيث تدخُل النفس [مع الجسد] لميراث المجد في ذلك المكان. ومنذ ذلك الحين، وخلال ارتباطهما الوثيق؛ فالنفس التي قد اشتركت في مشقّة الجسد، ستهبه أيضًا نصيبًا من فرحها، جامعةً الجسد معها

---

[42] Orat. 40.38 - 40
[43] Orat. 39.8-10

بالكليّة ويصير واحدًا معها في الروح وفي العقل وفي الله، والمائت والمتغيِّر يُبتلَع من الحياة"[٤٤]

وهنا يتلاقَى القديس غريغوريوس بنفس الروح الواحدة مع القديس إيريناؤس في تلك النظرة للسقوط والخلاص، والنظرة إلى الجسد والنفس، فنجد إيريناؤس يقول في كتابه "ضِدَّ الهرطقات":

"كما كان في بدء خلقتنا، في آدم، أنْ اتّحدَت نفخة الحياة الصادرة من الله بالجبلة الطينيّة، فأقامت منها الإنسان كائنًا حيًّا عاقلاً، هكذا أيضًا صار في الزمان الأخير، أنْ اتّحد كلمة الآب وروح الله بالصورة القديمة التي للجبلة الآدميّة، فصار الإنسان بذلك حيًّا وكاملاً ومُتقبِّلاً الآب الكامل، حتّى إنّه كما أننا في آدم الطبيعي نحن جميعًا أموات، هكذا أيضًا في الروحي نصير جميعًا أحياء"[٤٥].

ضرورة عمل نعمة الله من أجل النقاوة

النقاوة في فكر القديس غريغوريوس هي هبةٌ من المسيح للمسيحيين. ونراه يؤكّد أنّ الله هو المصدر الأساسي لتلك النقاوة[٤٦] وفي نفس الوقت لكي نُحافظ عليها ينبغي القيام بجهدٍ نسكيٍّ وأعمالٍ روحيّةٍ جادةٍ. ويُشدِّد قديسنا على أهميّة لقب المسيح: "المُخلِّص"، فهو الذي يُنعِم علينا ببهجة كلّ الفضائل التي نُمارسها وهو الذي يُطهِّر حواسنا الجُسمانية أيضًا[٤٧]. إنّ الحياة الجديدة في

---

[44] Orat. 7.21

[٤٥] رهبان دير القديس أنبا مقار، *التبني في المسيح يسوع في فكر آباء الكنيسة*، ط١ (القاهرة: دار مجلة مرقس، ١٩٩٤).

[46] Orat. 38.13

[47] Orat. 45.13-14

المسيح يسوع، كهبةٍ من الله، تُمثّل إحدى الركائز الأساسيّة التي ارتكز عليها قديسنا في سلسلة عظاته عن الظهور الإلهي، ومن ثمّ نراه يُعطي اهتمامًا كبيرًا لعملية التطهُّر التي نتقدَّس من خلالها، ويُتمِّمها الله. إنّ الله على استعدادٍ دائمٍ أنْ يُعطي أكثر ممّا نسأل، فنراه يقول في إحدى عظاته:

"هذا هو عيدنا الذي نحتفل به اليوم؛ مجيء الله إلى الجنس البشري، لكي نجعل طريقنا إليه... تاركين إنساننا العتيق ولابسين الجديد (أف ٤: ٢٢ ـ ٢٤)، لهذا ينبغي عليَّ اجتياز التحوُّل الحسن. وكما أتى الألم من السعادة، هكذا تعود السعادة من الألم؛ « حيث كثرت الخطيّة، هكذا ازدادت النعمة جدًّا » (رو ٥: ٢٠)، حيث إنّ مذاقة الثمرة حَكَمَت علينا، فكم بالحري أكثر آلام المسيح قد برَّرتنا"[٤٨].

إنّ مصدر التغيُّر الذي يخضع له المسيحي أثناء مراحل التطهُّر، هو نعمة التبرير التي لربّنا يسوع المسيح، فهو طريق التطهير الأوحد الذي يجب اتّباعه[٤٩]. فنحن مهما عملنا لا نستطيع أن نُعطي بقدر ما نأخذ من الله.

ويوجِّه أيضًا القديس غريغوريوس حديثه إلى الطامحين أنْ يُصبحوا مُعلّمي العقيدة المسيحيّة، فيحثّهم على الانتظار حتّى يتدرّبوا على الأعمال المسيحيّة والسلوك المسيحي فيصيروا بذلك ناضجين في الإيمان[٥٠]، وبذلك ينمون في معرفة الله، الذي هو نفسه مصدر كلّ معرفتنا به.

---

[48] Orat. 38.4
[49] Orat. 19.6
[50] Orat. 32.13

ويؤكّد القديس غريغوريوس على أنّه لا يجب أنْ نتخيّل، مثل الغنوسيين، بأنّ بعض الناس مؤهّلين بطريقة تلقائيّة لقبول الخلاص وفعل التقوى، بينما هناك آخرون غير مؤهّلين، ولا أنّ نجاحنا البشري هو نتاج جهدنا وحده. وبالأكثر أنّه من الضروري أنْ نُدرِّب أنفسنا بل ونتحكّم فيها، لكن مع وعينا بأنّ خلاصنا هو من الله، وأنّ إمكانيّات الإرادة تأتي من الله. كما أوضح القديس بولس الرسول، قائلاً: « لأنّ الله هو العامِل فيكم هو أنْ تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرّة » (في ٢: ١٣).

لقد استوعب القديس غريغوريوس، ومن ثمّ علّم بأنّ نعمة الله غنيّة جدًا؛ فالتطهُّر المسيحي هو نِتاج الجهد البشري والتدريب النسكي، ولكن المُستنِد والمُنطلِق والمدفوع بالنعمة، كهبة من الله.

بالرغم من أنّ قديسنا لم يقتحِم المنطقة الجدليّة الخاصة بالعلاقة بين النعمة الإلهية والعمل الإنساني، كما اقتحمها القديس أغسطينوس، فإنّ القديس غريغوريوس مثله مثل باقي لاهوتيي عصره وضّح ببساطه أنْ التطهُّر يحتاج جهدًا إنسانيًّا جادًّا بطريقة مستيكيّة (باطنيّة)، ولكن هذا الجهد الإنساني هو نتيجة نعمة الله في المسيح[٥١]. فالوعي السليم بصلاح الله ونعمته يجب أنْ يُوجِّه الشخص ليكون أكثر اجتهادًا بشأن تطهير نفسه.

---

[51] Orat. 38.4

المعمودية كأساس للحياة الجديدة ونعمة التطهير

في عظته الأربعين يحثُّ القديس غريغوريوس سامعيه على التحوُّل إلى المسيحيّة، ومن ذلك المُنْطلق يتكلَّم عن المعمودية موضحًا لهم أنّها هبةٌ أو نعمةٌ، لأنّها تُعطَى لِمَنْ هم مديونون[٥٢]. فمن خلالها ننال التطهير من الخطايا، ونحوز النقاوة[٥٣]. وبواسطة المعموديّة أيضًا تتحقّق عملية إعادة خلق الإنسان، بواسطة عمل الله[٥٤]، فيوجهّهم إلى المحافظة على هذه الهبات وتلك النِعَمْ التي أُعطيَت لهم، بعدما اعتمدوا[٥٥]، وذلك بأنْ يعملوا بجدٍّ لأجل نقاوتهم، يقول:

"لأنّنا نتكوَّن من عنصرين، أعني نتكوَّن من النفس والجسد، وطبيعتنا بها جزء منظور وآخر غير منظور، أيضًا تطهيرنا مُزدوج؛ « بواسطة الماء والروح » (يو٣: ٥). جزءٌ نتقبَّله بصورة منظورة وماديّة، والآخر نناله معه بصورة غير ماديّة وغير منظورة. الأوَّل رمزي τυπικός، والآخر حقيقي ἀληθινός، مُطهِّرًا الأعماق. [هذا السرُّ] يأتي ليعين ميلادنا الأوَّل [الذي صار عتيقًا بالسقوط]. المعموديّة تُجدِّدنا عِوضًا عن العتيق، وعلى شبه الله، بدلاً ممّا نحن عليه الآن. [المعمودية] تُعيد صياغتنا بدون لهبٍ، وتُعيد خلقتنا بدون أنْ تُحطِّمنا. لذا، في كلمةٍ واحدةٍ، عمل المعموديّة يُفهَم أنّه عهدٌ مع الله لأجل حياة ثانية، وطريقة أكثر نقاءً للحياة"[٥٦].

---

[52] Orat. 40.4
[53] Orat. 8.14
[54] Orat. 40.7
[55] Orat. 40.34
[56] Orat. 40.8

بتلك الكلمات الرائعة يُحدِّثنا قديسنا عن نعمة التطهُّر في المعمودية، في عظته الأربعون. ذلك التطهُّر الذي يجب أنْ يناله المؤمنون دون تأجيل بغضِّ النظر عن السن أو العمل أو الحالة الاجتماعيّة. ذلك التطهُّر لازمٌ لكي ينعموا بتغيير حياتهم إلى الحياة الجديدة، ويدخلون في نموٍ دائمٍ نحو الله وتغيُّر مستمر، ولكن إنْ أخَّروا المعمودية، من المُمكن أن يظلّوا غير أنقياء حتّى يوم الدينونة، لأنّه لا يعرف أحد وقت انتقاله[٥٧].

النقاوة هي حركة دائمة في حياة اللاّهوتي

"كُن مُجتهدًا من أجل نقاوتك"[٥٨]. بهذه الكلمات التي خاطب بها القديس غريغوريوس شعبه، نستطيع أنْ نستوضح فكره بخصوص النقاوة، فهو لا يراها حالة من الكمال يُنْجزها الإنسان ثم يتوقّف عن السعي، لكنّها عملية مستمرَّة من النمو الدائم نحو الله. وعندما يتكلّم قديسنا عن اللاّهوتي، نجده يهتمُّ بحياته مع الله؛ فحياة اللاّهوتي هي حياة شركة مع الثالوث بالدرجة الأولَى. هي عَلاقة كيانيّة وشخصيّة في دائرة النور الإلهي، وبمقدار عُمق تغيُّرنا، تكون معرفتنا لله ومعاينتنا للنور.

هنا يُشدِّد قديسنا على ضرورة نقاوة اللاّهوتي، فنجده يقول:

"وهو [الله] يريدها [النقاوة] لنا، كتقدمة وحيدة، التي هى قلب منسحق، وذبيحة تسبيح (مزمور٥٠: ٢٣)؛ (مزمور٥١:

---

[57] Orat. 40.17-18
[58] Orat. 40.34

٢٩)، وخليقة جديدة في المسيح (٢كو ٥: ١٧)، والإنسان الجديد (أف ٤ : ٢٤)، كما تُدعَى في الأسفار المقدّسة"[٥٩].

فاللاّهوتي يُبرهِن على صدق كلامه بواسطة حياته، بنقاوته ونموّه الدائم في حياة القداسة حتّى يعرف الله بصورة أكثر كمالاً. ويستخدم قديسنا ذلك المبدأ للتذكير بأهميّة دور المعموديّة كمدخل لذلك التطهُّر الذي أشرنا إليه سالفًا. وأيضًا تكلّم عنه مرّة ثانية في عظته اللاّهوتيّة عن الصعود لجبل سيناء، وأيضًا إشارته لمَثَل الزارع؛ فهو لا يرى أنّ التطهُّر يجب أنْ يكون بطريقة جامدة أو حرْفيّة يتمُّ إنجازها ضمن جدول زمني مُعيَّن، بل هي حالةٌ من النقاوة يحتاج إليها دائمًا كلّ لاهوتي. فالنقاوة ليست مُجرّد كلمات رنّانة وعبارات بليغة بل هي دليلٌ هامٌ على عُمق معرفة الله في اللاّهوت المسيحي، لاحظ هنا أنّ مَنْ يقول هذا الكلام هو واعظٌ بليغٌ وفيلسوفٌ مُتمكّنٌ.

في نفس العظة عن صعود موسَى لجبل سيناء، نجد القديس غريغوريوس، وبالاستعانة بكتابات العلاّمة أوريجينوس بخصوص طبيعة الإعلان الإلهي، يوضّح أنّ فهم الأسفار المُقدّسة ومعرفة الله يتمُّ بحسب مستويات مختلفة وذلك تُحدِّده الحالة الروحيّة للإنسان، هنا يُشدِّد قديسنا على أنّ المستوى الأبسط والأوضح هو في متناول القسم الأكبر من السامعين (المبتدئين) بينما تُستعلَن المعاني الأكثر عُمقًا للذين هم نامون في القداسة ويصفهم بالذين تغيَّروا إلى الشكل الإلهي[٦٠].

وفي الأجزاء الأخيرة من مجموعة العظات على الظهور الإلهي، يُوضّح ويُحذِّر القديس غريغوريوس بأنّ دينونة المسيح ستكون نورًا

---

[59] Orat. 16.2

[60] Cf. Gregory's orat.43.72; 28.2; Origen, Princ. 4.2.2.

للأنقياء، إذ ستتحوَّل لرؤية ومعرفة الله في ملكوت السموات، بينما ستكون ظلامًا وإقصاءً بعيدًا عن الله، للّذين هم دنسون[٦١].

[61] Orat. 40.45

اللاّهوتي والاستنارة

الله لا يمكن إدراكه بصورة كاملة

يرى القديس غريغوريوس أنّ الله لا يمكن إدراكه بشكلٍ كامل فيقول:

"ماذا حدث لي، أيها الأصدقاء الواقفون على الحقيقة، ورفقاء محبة الحقيقة، لقد أسرعت لأدرك الله καταλαμβάνειν، وصعدت هكذا إلى الجبل، ودخلت الغمام، منعزلاً في داخلي عن المادة والماديّات، ومنكفئًا على ذاتي قدر المستطاع. وعندما نظرت، لم أكن أرى سوى وراء الله؛ وكنت مُحتميًا بالصخرة (انظر: خر٣٣: ٢٣)، بالكلمة (انظر: يو١: ١٤) الذي صار جسدًا من أجلنا، وعندما انحنيت قليلاً، أبصرت، لا الطبيعة الأولى الخالصة من كلّ اختلاط، التي تُدرِك ذاتها، أعني الثالوث، وكلّ ما يبقى وراء الستر الأوّل الذي يغشيه الكاروبين، بل ما يقع في الطرف ويصل إلينا. إنّه، على ما أرى، عظمة الله في المخلوقات وفي الأشياء التي أبدعها وساسها، وما يُسمّيه داود التقي « جلاله » (انظر: خر ٨: ٢). هذا ما يُرى وراء الله وما يُدرَك بعد اجتيازه. إنّه كظلال الشمس على المياه، والأخيلة تُمثّل الشمس للعيون الضعيفة، إذ لا يمكن التحديق في ذات الشمس، لأنّ صفاء نورها يتغلّب على الحواس. بهذه الطريقة

يجب أن تتعامل مع اللاّهوت، وإن كنت موسى، وإلهًا لفرعون (انظر: خر٧: ١) وإن كنت بلغت السماء الثالثة كبولس، وسمعت كلمات تفوق الوصف، وإن تفوَّقت عليه [بولس]، في أحد المواقع أو الصفوف التي للملائكة أو لرؤساء الملائكة. فكلّ كائنٍ، سواء كان علويًا أم فوق العلوي، وإن كان بطبيعته أرفع منَّا جدًّا وأقرب من الله، فهو أبعد من الله ومن إدراك الله بشكلٍ كامل κατάληψις، بُعده عنّا نحن الخليط المُركَّب (من نفس وجسد) السفلي الميَّال إلى الأرض." [٦٢]

في النصّ السابق يشير ق. غريغوريوس من خلال صعوده إلى الجبل، مع تركيزه الكامل قدر الإمكان على الله وحده، أنّه يرى ويصف سمو معرفة الله، وهذا النصّ يُعد من أشهر كتابات ق. غريغوريوس التي يعبِّر فيها عن رؤيته اللاّهوتية بشأن معرفة الله. [٦٣]

ويربط ق. غريغوريوس من خلال كتاباته بين نقطتين؛ الأولى: أنّ الله غير مُدرَك، والثانية: تتعلّق بالطريق الذي من خلاله يمكن أن يعرف المسيحيون، الله.

ونلاحظ في النصّ السابق، تأثير الجدل اللاّهوتي الحادث في تلك الحقبة، وجهاد القديس غريغوريوس ضدّ أفنوميوس المخالف، الذي ادّعى أنّه يعرف جوهر الله بصورة كاملة وتامة.

---

62 Orat. 28.3.

63 McGuckin. *St. Gregory of Nazianzus: An Intellectual Biography*. Crestwood, N.Y: St. Valadimir's Semmany Paris, 2001; Plagnievx. *Saint Gregoire De Nazianze Thealogien*. Paris: Editions Franciscaines, 1951.

ويقدِّم ق. غريغوريوس تأمُّله بشأن الصعود على جبل سيناء (انظر: خر ١٩، ٢٤) في العظة اللاّهوتية الثانية، ليُفنِّد ويدحض زعم أفنوميوس، حيث يبدأ النصّ بالحديث عن الصعود إلى الجبل برجاءٍ جادٍ ليتقابل مع الله؛ "إني مُسرع لأدرك καταλαμβάνειν الله"، ليس ليعرف الله ببساطة، لكن ليعرفه بالكليّة، وفى الجملة النهائيّة في النصّ يُكرِّر القديس غريغوريوس النقطة الرئيسيّة التي تُشكِّل محور النصّ كلّه: إنه ليس شيئًا مُهمًّا صار عاليًا بمقارنته بالآخرين، وحتّى إن صار متّسعًا جدًّا، فهو لا يزال بعيدًا جدًّا عن "الإدراك الكامل κατάληψις لله". والقارئ لحديث القديس غريغوريوس عن الصعود إلى جبل سيناء في تلك العظة، يلحظ إحساس شخص لم يتمكّن من إدراك الله كما كان يأمل، لكنّه بالكاد نجح في أن يرى فقط "وراء الله" (انظر خر٣٣: ٢٣) وبهذا يؤكّد القديس فكرته أنّ الله غير مُدرَك ولا يمكن معرفته بصورة كاملة وتامة، وبهذه الفكرة هو يتّفق مع فكر العلاّمة أوريجانوس بشأن معرفة الله.[٦٤] وفي نصوصٍ أخرى عديدة، يؤكّد القديس غريغوريوس على أن كلّ العطايا الإلهيّة كما المعرفة، تُدْرَك جزئيًّا وليس بشكلٍ كاملٍ، إذ يقول: "ليس هو سلام الله وحده الذي يفوق كلّ عقل νους (انظر: في ٤: ٧) وكلّ إدراك κατάληψις، وليس كلّ ما أُعدَّ للصدّيقين ووعُدوا به ممّا لم تره عين ... وليس هو معرفة الخليقة الدقيقة"[٦٥]، فكلّ ما نعرفه هو معرفة جزئيّة.

---

[64] C.f. Princ. 1.1.5; 4.4.4.8; Moreschini *Influenze Di Origene* 45- 47.
[65] Orat. 28.5.

الله غير محدود فلا يمكن إدراكه بالعقل البشري

يرى القديس غريغوريوس أنّ العقل البشري لا يستطيع إدراك الألوهة، ويقدّم تلك الفكرة بتعبيرات مختلفة، فيوضّح أنّ تخيُّل الألوهة في كامل عظمتها أمر غير ممكن[٦٦]، وأنّه يصعب إدراك الله ويستحيل التعبير عنه[٦٧]، وأنّ ما هو إلهي، لا يمكن الإحاطة به بالعقل البشري.

في التعبيرات السابقة، يستخدم القديس غريغوريوس صور مختلفة من الفعل اليوناني *λαμβάνειν*[٦٨]، الذي قد أُستُعمِل بصورة رائجة في ألفاظ الفلسفة الرواقيّة، ليُعبِّر عن معنى: يدرك، يفهم، يبرع في أو يحيط بشيء ما، فالإدراك هو مسألة فهم تام وكامل.

لذا يوضح القديس غريغوريوس في عظته الرثائيّة في نياحة والده، أنّ الجلال اللاّنهائي لله وعظمته، لا يمكن معرفتهما بصورة كاملة ولا أن يطّلع بذلك أي كائن مخلوق، فيقول:

> "حيث إنّ كلّ صفات الله غير مدركه *ἀκατάληπτον* وأبعد من قدرة عقلنا، وكيف يمكن لمن هو سامٍ أن ندركه أو نفهمه، وكيف يمكن أن يُقاس من هو لا نهائي، وكيف للألوهة أن تهبط لحالة الأشياء المحدودة وتُقاس بدرجات ومستويات الهبوط."[٦٩]

---

[66] Orat. 28.11.

[67] Orat. 28.4.

[٦٨] الفعل اليوناني المشار إليه هو صيغة المبني المتوسط من الفعل اليوناني *λαμβάνω* بمعنى "أمسك بـ".

[69] Orat. 18.16.

ويؤكّد ق. غريغوريوس على أنّ حقيقة كون الله غير مُدرَك هي نتيجة طبيعيّة لمبدأ أنّ الله غير محدود وأن الكائنات المخلوقة، محدودة. وأنّ الله الخالق هو مصدر الكلّ يسمو على كلّ الأشياء في جلاله وعظمته - نفس الفكرة موجودة في كتابات العلاّمة أوريجانوس[٧٠] - وأنّه ذو طبيعة سامية وعظيم جدًّا لدرجة أنّ كلّ الأشياء تبدو صغيرة وضعيفة بالمقارنة به، وغير قادرة على الاقتراب منه.[٧١]

وفي نصٍّ من العظة الأولى المبكّرة عن السلام، يؤكّد قديسنا على أنّ الله ليس مجرّد أعظم من كلّ الأشياء بدرجات، بل هو عظيم بصورة لانهائيّة، ساميًا بصورة كاملة عن الخليقة، فيقول:

> "الله هو أجمل وأمجد من كلّ الموجودات *τῶν ὄντων*، أو يفضل أحد أنّ يفكّر فيه كجوهرٍ سامٍ *ὑπὲρ τὴν οὐσίαν*، أو يرى فيه مُجمل الوجود كلّه، حيث منه يتدفّق [الوجود] للآخرين."[٧٢]

وفي عظاتٍ أخرى يوضّح القديس غريغوريوس أنّه من جهة، نعلم أنّ الله عظيمٌ بصورة سامية، ومن الجهة الأخرى، أنّ عظمته تفوق كلّ مستويات العظمة، وأنّ الله أسمَى من الزمان والمكان والكون ككلٍّ، وحتّى من كل النقاء والصلاح.[٧٣]

في العظة الأولى على الظهور الإلهي، يصف ق. غريغوريوس سمو الله مستعينًا ببعض التعبيرات من الكتاب المُقدّس والفلسفة، فيقول:

---

70 C.F. Princ 4.1.7.
71 Orat. 2.5,75.
72 Orat. 6.12.
73 Orat. 2.5, 76; 37.2.

"أمّا هو [الله] فهو كائنٌ أزليٌّ، وهذا هو الاسم الذي أعطاه لنفسه عندما ظهر لموسى (انظر: خر ٣: ١٤) ... الكائن ὁ ὢν لأنه يجمع ويحوي كلّ الوجود[٧٤] ὅλον τὸ εἶναι في نفسه، لا بداية ولا نهاية له، كمثل محيط لا نهائي لا حدود لوجوده، هو يفوق كلّ نقطة في الزمان والطبيعة."[٧٥]

وبينما الله كمثل محيطٍ متسع لا حدّ لوجوده، إنّه عظيمٌ ليس بصورة نسبيّة، بل بصورة مُطلقة، فهو يسمو على الوجود نفسه وبل وفوق كلّ مستويات العظمة.[٧٦] لذا فإنّ الله أعظم من العظمة ذاتها، يسمو بالكليّة عن قدراتنا لإدراكه أو التعبير عنه في لغة.[٧٧]

الله يفوق كلّ تعبير عنه ومع هذا نستخدم ألفاظ ولغة بشريّة للتعبير عنه

إنّ الله غير محدود ويسمو عن كلّ الوجود بل ومحدودات اللّغة، يُعبِّر عن تلك الرؤية القديس غريغوريوس في العظة اللاّهوتية الثانية فيقول: "فلابد والحالة هذه من العودة إلى المسيرة [الصحيحة] على النحو التالي، إذ يصعب إدراك الله، ويستحيل التعبير عنه."[٧٨]

لكن هذا لا يعني بأنّنا سنكون أفضل حالاً إن تجنّبنا اللُّغة والألفاظ، بل العكس تمامًا، يرى القديس غريغوريوس، أنّ

---

[٧٤] هذا التعبير تجده أيضًا عند أفلاطون. انظر: Symp 210d.

[75] Orat. 38.7.
[76] Orat. 37.2
[77] Orat. 30.17; 32.14; 38.18.
[78] Orat. 28.4.

المصطلحات المُحدّدة للتعليم المسيحي تكون ضروريّة وتُعبِّر بحقٍ عن معانيها الفعليّة، وإن كانت هذه المعاني تسمو عليها بالفعل.

التعبير عن سمو طبيعة الله من خلال مفاهيم العظمة، هي الطريقة المفضّلة عند القديس غريغوريوس، فيتحدّث في عظته اللاّهوتية الرابعة، متكلّمًا عن إمكانياتنا المحدودة لفهم سمو طبيعة الله وللتعبير عنه فيقول: "فلم يتمكّن أحد من استنشاق الهواء كلّه، وجوهر الله لم يتمكّن عقل من تصوّره، ولم تتمكن لفظة من احتواء حقيقته احتواءً كاملاً، ولكنّنا نتّخذ ممّا حوله [علاقته وجلاله ونعمته] طريقًا إلى تخيلّه في ذاته."[٧٩]

فإنّ الله مُدرَك، ولكن جُزئيًّا، بينما يظل، أيضًا، جزئيًّا غير مُدرك في الوقت نفسه. هذه رؤية القديس غريغوريوس بشأن إمكانية إدراك الله، والتعبير عن إدراكه بألفاظ كميّه.

ويقصد ق. غريغوريوس بتعبيره أنّ الله غير مُدرك؛ عدم قدرة العقل البشري المُحدود على معرفة تمام عظمة وكمال الله. ونرى ذلك بوضوح في ليتورجيّة القديس غريغوريوس، إذ نقرأ:

> "أيّها الواحد وحده الحقيقي، الله مُحب البشر، الذي لا يُنطق به، غير المرئي، غير المحوى، غير المبتدئ، الأبدي، غير الزمني، الذي لا يُحدُّ، غير المفحوص ... ليس شيئًا من النطق يستطيع أن يحدّ لُجّة محبتك للبشر."[٨٠]

---

[79] Orat. 30.17.

[٨٠] عبد المسيح صليب المسعودي(المتنيح القمص). الخولاجي المقدس أي كتاب الثلاثة القداسات مع صلوات أخرى مقدسة، إصدار دير البرموس، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢.

لم يستطع القديسون أن يُدركوا الله بصفة تامة ولا أن يعبِّروا عنه بالكمال. وقد شهد القديس بولس، الذي اختُطِف للسماء الثالثة بذلك قائلاً: « لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ » ولأنّ كلّ معرفتنا عن الله هي « في مرآه في لغز » (انظر ١كو ١٣: ١٢، ٩).

هذه الفكرة نراها في العظة اللاّهوتية الثانية للقديس غريغوريوس، إذ يقول:

"وإبراهيم تبرَّر بالإيمان (انظر: تك ١٥: ٦؛ رو ٤: ٣)، هو أبو الآباء الكبير، وقد قدَّم ذبيحة غريبة كانت رمزًا للذبيحة الكبرى [ذبيحة المسيح]. إنّه رأى الله، لا الله في أُلوهيّته (انظر تك ١٨: ١ ـ ٢)، ولكنّه قدَّم له الطعام على أنّه إنسان (انظر: تك ٢٨: ١٨) ... ويعقوب رأى في حلمه سلّمًا منتصبًا وملائكة تصعد عليه (انظر: تك ٢٨: ١٢) ... ولكن لا هو، ولا أحد من أسباطه الإثنا عشر الذين كان لهم أبًا، استطاع إلى هذا اليوم أن يدَّعي بأنّه عرف طبيعة الله، أو أنّه شاهدها مشاهدةً تامّة. وإيليا لم يعبر الله إليه في الريح الشديدة، ولا في النار ولا في الزلزلة ... بل في النسيم اللّطيف (انظر: ١مل ١٩: ١١) حيث تمثَّل له طيف الحضور الإلهي، لا طبيعة الله ذاتها. وإيليا، مَنْ يكون؟ هو مَنْ ارتفعت به مركبة ناريّة إلى السماء، وأظهرت ما كان عليه من برٍّ يفوق البشر. وكيف لا نُعجب بالقاضي منوح (انظر: قض١٣: ٢٢) ... إذ ما كان ليتحمَّل رؤية الله الذي تراءى له، وكان لذلك يقول لامرأته:

« نموت موتاً لأننا قد رأينا الله ». ففي نظره أن البشر لا يستطيعون تحمُّل رؤية الله، فكيف بطبيعته الإلهيّة." [٨١]

ويكمل القديس غريغوريوس حديثه مشيرًا إلى سليمان وهو قد دخل إلى عمق المعرفة الإلهيّة فيقول القديس: "كلّما غاص في الأعماق، كلّما أصابه الدّوار، ورأى في خاتمة مطافه، كم تباعدت الحكمة عنه." (انظر: جا ٧: ٢٥؛ ٨: ١٧) [٨٢].

وبعد طرح القديس غريغوريوس للأمثلة السابقة، يؤكّد أنّ مكافأة الله العظمّى للّذين هم أنقياء، ويصعدون إلى مرتفعات المعرفة الإلهيّة، هي أن يجعلهم مستنيرين أكثر جدًّا بنور معرفة الثالوث، الذي يمكن إدراكه فقط جزئيًّا، وعلى قدر ما يستطيعون، ويبقى أيضًا ودائمًا غير ممكن إدراكه بصورة كاملة. [٨٣]

وفي نصٍّ من العظة اللاّهوتية الرابعة، يوضّح القديس غريغوريوس أنّ معرفتنا لله هي نسبيّة فيقول:

"إنّ أعظم اللاّهوتيين، في نظرنا، ليس من اكتشف 'الكل' ... بل من تفوّق على غيره في التصوُّر، ومن حقّق في ذاته صورة الحقيقة، أفضل من غيره، أو ظِلّ *ἀποσκίασμα* تلك الحقيقة" [٨٤]

ويكرِّر قديسنا مرّة أخرى في العظة ٢٨ فكرته قائلاً: "الله، في طبيعته وجوهره، لم يتوصّل أحد إلى اكتشافه." [٨٥]

---

[81] Orat. 28.18,19.
[82] Orat. 28.21.
[83] Orat. 26.19.
[84] Orat. 30.17
[85] Orat. 28.17.

وفي نفس العظة يضيف قائلاً: "إنّ الفكر البشري لا يستطيع أن يُدرِك الألوهة. وإنّ تَخَيُّلها في كامل ذاتها هو أمر غير ممكن" [٨٦]

ويوضح القديس غريغوريوس أنّ طبيعة وجوهر الله تفوق فهمنا *νοῦ κρείττων* [٨٧]، "وأنّ التعبير عن الله مستحيل، وأنّ إدراكه أشد استحالة."[٨٨]

وتلك الفكرة السابقة تظهر السمة الأبوفاتيكيّة apophaticism للفكر اللاّهوتي للقديس غريغوريوس.

الله بسبب صلاحه خلقنا من نفس وجسد

ويقدِّم ق. غريغوريوس المفهوم اللُّغوي لكلمة عدم إمكانيّة الإدراك الكامل *incomprehensibility* في تعبيرات بشريّة حسيّة، وذلك لأن الله خالق الأشياء يفوق الوصف، والتعريف، والشكل التي توصف بها الكائنات المخلوقة.

في فكر القديس غريغوريوس، وكذلك العلاّمة أوريجانوس، إنّ كلّ الأشياء المخلوقة لها هويّتها الفريدة، حيث إنّها محدودة ومشكّله بدقة وبطريقة معيّنة، وذلك ما يجعل لها مدلولاً جسديًّا *σωματικός*[٨٩]، وأنّ العقل البشري يمكنه أن يفهم الأشياء عن طريق شكل ونظام، داخل أُطر الزمان والمكان، متضمِّنًا فئات من الكمّ والكيف والعلاقات، يمكن أن توصف بها المخلوقات.

---

[86] Orat. 28.11.
[87] Orat. 28.31.
[88] Orat. 28.4.
[89] Orat. 38.10 ; Origen, Princ.4.3.15.

ويصف القديس غريغوريوس بعض أنشطة العقل البشري كنوع من الآلام[٩٠] وكثيرًا ما يُعلّق على كثافة الجسد الخاص بالكائن البشري.[٩١]

فالأشياء يمكن أن تُفهم، وكلّ اللُّغات هي عقليًّا مُجسّدة، ونحن أساسًا عاجزون عن السمو على جسديّة معرفتنا، ولكن الله يفوق حدود كلّ المخلوقات، ساميًا على الزمان والمكان، لهذا فهو لا جسد له ἀσώματον،[٩٢] وقد أوضح هذا الأمر، القديس غريغوريوس، في العظة اللاّهوتية الثانية وكذلك في العظة الأولى من سلسلة العظات على الظهور الإلهي، وذلك واضح أيضًا في كتابات العلاّمة أوريجانوس.

ومن الجدير بالذكر أنّ القديس غريغوريوس كان يقظًا، وواعيًا جدًّا، أكثر من العلاّمة أوريجانوس، لحدود وقصور اللُّغة الإنسانيّة للتعبير عن إدراك ومعرفة الله.[٩٣]

ولأن الله، في طبيعته، هو بلا جسد وغير محدود، وأيضًا بسبب تأثير طبيعتنا الجسديّة، فالله غير مُدرك بالنسبة لنا. وبالرغم من أننا نطمح إلى معرفة الله بدرجة أعمق، إلاّ أن أي محاولة لمعرفة الله بعيدًا عن التصوُّر والمفاهيم المرتبطة بالخليقة، سوف تصطدم بالحدود الأصليّة للمعرفة البشريّة.[٩٤]

---

[90] Orat. 20.9.
[91] C.F Orat. 2.17, 74; 22.6; 28.7; 29.11; 38.12-13.
[92] C.F. Orat. 30.17; 28. 9.
[93] C.F. Trigg. Joseph W. "Knowing God in the Theological Orations of Gregory of Nazianzus:The Heritage of Origen." *In God in Early Christian Thought :Essays in Honor of Lloyd Patterson*, ed. Andrew McGowan. Leiden: Brill, forthcoming; C.f. Richard,Anne. *Cosmologie et théologie chez Grégoire de nazianze*:Institut d'Etudes Augustiniennes, 2003.
[94] Orat. 2.74; 24.15; 31.7.

وفي مرات عديدة، يرى القديس غريغوريوس أنّ الحدود الجسديّة والماديّة لمعرفتنا تمثّل بالفعل حدودًا ونهايةً حسنة، والله هو الذي رتّبها كعلامة لصلاحه، ولينمي فرحنا وشوقنا إليه. وقد جعل الله كثافة الجسد بيننا وبينه، حتى لا يمكن أن نفقد ما قد حصلنا عليه بسهوله، مثلما حدث للشيطان الذي سقط.

وفي العظة اللاّهوتية الثانية يوضّح ذلك القديس غريغوريوس فيقول:

"فمن الصلاح أن يكون الخير [إشارة إلى ضرورة الاجتهاد لتحقيق الخير] صعب المنال ... لتجنيبنا المصير الذي صار إليه لوسيفورس الساقط (أي الشيطان انظر: إش ١٤: ١٢)، ولتجنُّب التكبُّر على الربّ كلي القدرة من بعد حصولنا على النور الكامل ... وقد يكون ذلك أيضًا لكي يكون هنالك مكافأة أعظم على الشجاعة والحياة الصافية اللتيْن يتحلّى بهما أولئك الذين تطهروا على هذه الأرض وسعوا سعيًا حثيثًا إلى الغاية المنشودة. لذلك يقوم بيننا وبين الله 'ظلام' (انظر: خر١٠: ٢٢) مصدره الجسد، وهو أشبه بالغمام الذي كان يقوم قديمًا بين المصريين والعبرانيين (انظر: خر ١٤: ٢٠). وقد يكون هذا معنى القول: « جعل الظلمة حجابًا له » (انظر: مز١٧: ١٢). والظلمة هذه كثافتنا التي لا ترى القلّة من خلالها إلاّ القليل ... أمّا نحن « أسرى الأرض »، على حد قول إرميا النبي (انظر مراثي إرميا ٣: ٣٤)، نحن الذين تغمرهم كثافة الجسد، كل هذا ما نعرفه أنّه كما يستحيل على الإنسان، وإن كان شديد السرعة، أن يسبقه ظلّه - والظلّ كلما حاولت إدراكه وجدته متقدمًا عليك - كذلك يستحيل على

مَنْ هم في الجسد أن ينقطعوا تمامًا إلى الأمور الروحيّة بمعزل عن الأمور الجسديّة".[٩٥]

الله يمكن إدراكه فقط بشكل جزئي وبقدر ما تحتمل طبيعتنا

في حديث ق. غريغوريوس في العظة اللاّهوتيّة الثانية، يضع المبدأ، أنه ليس بإمكاننا أن ندرك الله بصورة كاملة، لكنه يكمل بعد ذلك في نفس العظة ويوضح أنه يمكننا أن نتقدّم في معرفة الله. في الحديث عن الصعود على جبل سيناء، يرى القديس غريغوريوس، بالرغم أنه لم يدرك الله بشكلٍ كامل، لكنّه قد تقدّم ورأى وراء الله، لذلك فهو قد بلغ معرفة فعليّة لله، وإن كانت تلك المعرفة جزئيّة ونسبيّة وأقل من الإدراك الكامل، مثل موسى الذي رأى وراء الله، حيث مرّ الله به (انظر: خر٣٣: ٢٣).

ويوضح القديس غريغوريوس ذلك فيقول: "لقد أسرعت لبلوغ الله، وصعدت إلى الجبل، ودخلت الغمام ... وعندما نظرت لم أكد أرى سوى وراء الله (انظر: خر ٣٣: ٢٣)" [٩٦]

بينما لم يَرَ القديس غريغوريوس طبيعة الله بالكمال، لكنّه رأى جزءًا منها وهو الذي يمتد ويشع على الخليقة، أي أنه رأى علاماته التي بواسطتها يمكن للخليقة أن تعرف الله، التي يدعوها الكتاب المقدس: مجد الله وجلاله. ويوضح ذلك القديس غريغوريوس في نصّ العظة فيقول:

---

[95] Orat. 28.12.
[96] Orat. 28.3.

"وعندما انحنيت قليلاً أبصرت، لا الطبيعة الأولى الخالصة من كلّ اختلاط، التي تُدرك ذاتها، أَعني الثالوث ... بل ما يقع في الطرف ويصل إلينا. إنه على ما أري، عظمة الله في المخلوقات وفي الأشياء التي أبدعها وساسها، وما يسميه داود التقي، جلاله (انظر: مز ٨ : ٢). هذا ما يُرى من وراء الله وما يُدرَك بعد اجتيازه (انظر: خر ٣٣: ٢٢ ـ ٢٣)". [٩٧]

ومن الملاحظ أنّ القديس غريغوريوس يؤكّد على الإمكانيّة الفعليّة للبلوغ إلى معرفة الله، فيوضّح أنّ الذين قد تنقّوا، سوف يبلغون معرفة الثالوث، وحينئذ سيكون الآب والابن والروح القدس؛ الثالوث القدوس، معروفًا للمؤمنين الأنقياء.[٩٨]

ويكمل القديس غريغوريوس شرحه العقائدي مُشيرًا إلى طبيعة الله غير المُدركة، وفي نفس الوقت إلى إمكانيّة معرفة الله، وذلك في نصٍّ من العظة الثامنة والثلاثين عن ثيوفانيا الميلاد، حيث يتحدّث عن الاحتفال بالتجسُّد، ضمن سلسلة عظات عن الظهور الإلهي، فيقول:

"الله كان كائنًا دائمًا وهو كائنٌ في الحاضر وسيكون دائمًا إلى الأبد، أو بالأحرى هو كائن دائمًا. لابد أنّ 'كان' و'سيكون' هي أجزاء من الزمن؛ زمن طبيعتنا المتغيّرة. أمّا هو فإنه 'كائن' أبدي، وهذا هو الاسم الذي أعطاه لنفسه عندما ظهر لموسى « أنا هو الكائن ὁ ὢν ἐγώ εἰμι » (خر ٣: ١٤) لأنّه يجمع ويحوي كلّ الوجود، وهو بلا بداية في الماضي، وبلا نهاية في المستقبل؛ مثل محيط عظيم لا حدود لوجوده، لا يُحد ولا يُحوى، هو يتعالى كليّة فوق أي مفهوم

---

[97] Orat. 28.3.
[98] Orat. 25-17.

للزمان وللطبيعة، وبالكاد يمكن أن يُدرَك فقط بالعقل، ولكنّه إدراكٌ غامضٌ جدًّا، وضعيف جدًّا، ليس إدراكًا لجوهره، بل إدراك بما هو حوله , οὐκ ἐκ τῶν κατ' αὐτον، أي إدراكه من تجميع بعض ἀλλ' ἐκ τῶν περὶ Αὐτον ظواهر خارجيّة متنوّعة، لتقديم صورة للحقيقة سرعان ما تفلت منّا قبل أن نتمكّن من الإمساك بها، إذ تختفي قبل أن نُدركها. هذه الصورة تُبرِق في عقولنا فقط عندما يكون العقل نقيًّا كمثل البرق الذي يبرق بسرعة ويختفي. أعتقد أن هذا الإدراك يصير هكذا، لكي ننجذب إلى ما يمكن أن ندركه [لأن غير المُدرَك تمامًا، يُحبط أي محاولة للاقتراب منه]. ومن جهة أخري فإن غير المُدرَك يثير إعجابنا ودهشتنا، وهذه الدهشة تخلق فينا شوقًا بالأكثر، وهذا الشوق ينقّينا ويطهِّرنا، والتنقية تجعلنا على شبه الله. وعندما نصير مثله (انظر: ايو٣: ٢)، فإني أتجاسر أن أقول إنه يتحدّث إلينا كأقرباءٍ له (انظر: أف ٢: ١٣)، باتّحاده بنا، وذلك بقدر ما يعرف هو الذين هم معروفين عنده. إنّ الطبيعة الإلهيّة غير محدودة ويصعب إدراكها".[99]

الله يمكن إداركه ليس في ذاته بل فيما حوله أي في أفعاله ومجده ونعمته

في النصّ السابق من العظة ٣٨، يصف القديس غريغوريوس أنّ الله كائنٌ غير محدود، يتجاوز ويفوق أبعاد وجودنا، حتى إنّ العقل

[99] Orat. 38.7.

البشري المحدود يمكنه فقط بالكاد أن يمسك به جزئيًا، وإننا لا نستطيع أن ندرك الله في ذاته *κατ αὐτον*، وبالرغم من تلك الحقيقة، يؤكّد القديس غريغوريوس أنه يمكن أن نعرف الله، وإلاّ سوف لا يكون لنا رجاء. ولكن يمكن بحسب رؤية القديس غريغوريوس، أن ندرك شيئًا من هُدب [طرف] كينونة الله [وجود الله] أي نعرفه بما هو حوله *περὶ Αὐτον*، أي من خلال علاماته ونعمته ومجده وعظمته وأفعاله الإلهيّة.[100] وبينما العقل محدود بطبيعته، فهو يمكن أن يعرف الله من خلال مفاهيم وأمثلة وأفكار وصور من الخليقة، التي هي مُجرّد ظلال للتعبير عن الله السامي غير المتناهي بطبيعته، وهي تمثل مجرّد صورة عن حقيقة الله. وهذه الصور التي تُستخدم لوصف الله نفسه ويعرفها المؤمنون، هي تصف هُدب كينونة الله (وراء الله) (انظر: خر ٣٣: ٢٣).

في العظة الثانية، نلمح رؤية القديس غريغوريوس عن معرفة الله إذ يقول: "الله قد خلقنا ويمكن أن نلمسه، لا أن ندركه".[101]

فالله يجذبنا قريبًا إلى نفسه وبذلك يمكن أن نعرفه، محوّلاً إيانا بالتدريج، وموحِّدًا نفسه بنا، وبينما هو باقٍ فوق تلك المعرفة، إنما يجذب طموحنا إليه. ولذلك فإن معرفتنا لله يمكن أن تنمو على قدر ما تكون شركتنا معه أكثر عمقًا وقربًا.

---

[100] Orat. 28.3.
[101] Orat. 2.75.

معرفة الله تكون من خلال استنارة النفس والعقل بالنور الإلهي الفائق

في نصٍّ من العظة "عن المعموديّة" للقديس غريغوريوس، يوضّح أن الله يضيء بنوره على نفوس وأذهان الذين قد تنقّوا، وحينئذ يمكنهم معرفته، فيقول:

> "الله نور (انظر: ١ يو ١: ٥)، وهو الأسمى، ولا يُدنى منه (انظر: ١تيمو٦: ١٦)، ولا يُوصف، وهو لا يدرك بالعقل، ولا يُعبَّر عنه في كلماتٍ، وهو الذي يُنير كلّ طبيعة عقليّة. يوجد بين الأشياء العقليّة مثل الشمس بين الأشياء الماديّة. يظهر لنا على قدر ما نتطهّر، هو يُحَب بقدر ما يظهر لعقولنا، ولذا فهو يُدرَك بقدر ما نُحبه ... إذ يسكب نفسه على كلّ ما هو خارج عنه. إنه النور الذي نتأمله في الآب والابن والروح القدس، الذي يكمن غناه [الثالوث] في وحدتهم في الطبيعة [كأقانيم في الجوهر الواحد]، وينبهر الإنسان من بهائهم."[١٠٢]

ومن الملاحظ أنّ من الأفكار الأساسيّة عند القديس غريغوريوس أنّه يُعبِّر عن طبيعة الله؛ إنها نور (كتعبير قانون الإيمان النيقاوي: نور من نور) ويشير كثيرًا إلى معرفة الله أنها استنارة، ومجيء إلى شركة النور الإلهي، وأنّ النور الأسمى للثالوث - الذي يفوق كلّ إدراك - يمتد ويشع طبيعيًّا خارجًا تجاه الآخرين كمصدر لكل الأنوار الأخرى في السماء والأرض.[١٠٣]

---

[102] Orat. 40.5.
[103] Orat. 45.2.

وفي كتابات القديس غريغوريوس، يُشبِّه نور الله، بالشمس (انظر: مز ٨٤: ١١، مز ٨٩: ٣٦، ملا ٤: ٢، متى ١٧: ٢)، ومثل الشمس الطبيعيّة، فالله يُضيء ببهاءٍ للإدراك البشري، وكما أن الشمس تُضيء إلى العالم المادي، أيضًا يُضيء الله للجنس البشري، وبصفة خاصة؛ العقل البشري.[١٠٤]

وكثيرًا ما يشير ق. غريغوريوس إلى أنّ الاستنارة هي عطيّة الله لأجل معرفته، ومعرفة الله ضروريّة لأجل خلاصنا.

استمرار معرفة الله والاستنارة في هذه الحياة وحياة الدهر الآتي

القارئ لكتابات القديس غريغوريوس، يلاحظ، في فكر القديس، أنّ الاستنارة الإلهيّة تبدأ في هذه الحياة، وتستمر في حياة الدهر الآتي حيث تكون الرؤية أكثر كمالاً للنور الإلهي، ويتّضح ذلك من نصٍّ للقديس غريغوريوس في رثاء أخيه قيساريوس، فيصف أخيه المُنتقل قائلاً: "أنت مُمتلئ من النور المتدفّق من الله". ولكن الذين لا يزالوا في هذا العالم يدركون فقط شعاعًا صغيرًا من النور، كما في مرآة في لغز (انظر: ١كو ١٣: ١٢).[١٠٥]

ويذكر القديس غريغوريوس كثيرًا عبارة بولس الرسول في (١كو١٣: ١٢)، ليشير إلى أننا نرى الله جزئيًّا فقط أثناء حياتنا على الأرض، كما لو أنّ النور الإلهي منعكس في مرآة. فنحن الآن لم

---

[104] Orat. 28.3; 40.5; 20.10; 21.1; Carm. 1.2.10. 946-960.
[105] Orat. 7.17.

نُدرك الله بصورة كاملة، فما يصل إلينا هو قبسٌ ضئيل، كمثل شعاعٍ صغيرٍ من نورٍ عظيم.[١٠٦]

ومن دراسة للعالِم John Egan عن مثال القديس غريغوريوس عن المرآة والنور بشأن رؤية ومعرفة الله، فهو يرى أنّ القديس يُميِّز بين معرفة الله في هذه الحياة، التي تُرى بصورة غير مباشرة مُنعكسة على المرآة الداخليّة للنفس، وبين معرفة الله في حياة الدهر الآتي حيث تكون المعرفة أكثر كمالاً ووجهًا لوجه (انظر: ايو ٢:٣، ١كو ١٣: ١٢).[١٠٧]

في العظة رقم ٤٠ يؤكّد القديس غريغوريوس على هذه النقطة الهامّة: بينما الله غير مُدرك في كماله، لكن النور الإلهي يظهر ويُستعلن للذين قد تطهّروا، ويتدفق عليهم حقًّا، ولكن بصورة جزئيّة ولكن حقيقيّة، لكي يتأمّلوا منذ الآن المجد الفائق للثالوث.[١٠٨]

وفي نصٍّ عن النور (الإلهي) من العظة الثانية والثلاثين يُوضِّح النقطة السابقة مرّة أخرى، متذكّرًا قول المزمور « جعل الظلمة ستره. حوله مظلّته ضباب المياه وظلام الغمام » (انظر: مز ١٨: ١١) مُشيرًا بذلك إلى حضور الله في الغمام على جبل سيناء (انظر: عب ١٢: ١٨) وفي السحاب الراعد كما جاء في (مزمور١٨: ١٣) حتى يمكننا أن نقتني معرفة الله بثباتٍ من خلال حياة النقاوة، فإنّه بالنور نعاين النور (انظر: مز ٣٦: ٩) جاذبًا إيانا إلى أعلى بحسب اشتياقنا.[١٠٩]

---

106 Orat. 28.17.

107 Egan, "*Knowledge and vision of God According to GregoryNazianzen*: A Study of Imge and Mirror and Light." Diss., de Paris, 1971, pp.1-2,18.

108 Orat 40.5.

109 Orat. 32. 15.

ويحضّ القديس غريغوريوس سامعيه من أعضاء إيبارشيته، أن يتطهّروا، حتى يمكنهم أن يستنيروا بنور الثالوث، وذلك في عظته التي ألقاها في عيد الغطاس سنة ٣٨١م، إذ يقول:

"تصيرون أتقياء ... فتصيرون كأنوار في العالم فتدركون سرّ الاستنارة السمائيّة، وتستنيرون بنور الثالوث بأكثر كمال وبهاء. الذي منه تتقبّلون، من الآن، جزئيًّا، على قدر ما تستطيعون، هذا الشعاع الواحد"[١١٠]

وفى نص آخر يكرر حديثه عن الاستنارة فيقول: "إن الله يجذب البشر لنفسه بإنارتهم بنوره"[١١١]

ويُكمل القديس غريغوريوس عرض رؤيته اللاّهوتيّة عن معرفة الله والاستنارة، بصورة مستيكيّة. ففي نهاية عظاته عن الظهور الإلهي، يحض سامعيه قائلاً: "لنتمسّك بالنور الإلهي الأكثر بهاءً ولنسِر نحو بهائه"[١١٢]

وفي النهاية، أوصى بالإيمان بالثالوث وتكلّم بفرحٍ بأنه قد استنار بالثلاثة أقانيم من خلال تأمّله الجوهرَ الإلهي الواحد، وأيضًا رؤيته للنور الواحد في تأمُّله للثلاثة أقانيم.[١١٣]

أيضًا في نصٍّ آخر من العظة عن الأنوار المقدّسة، يحث القديس غريغوريوس سامعيه على مخافة الله وعلى النقاوة، ليتّجهوا باشتياقٍ نحو الله الذي يفوق كلّ عظمة ويرتفعوا إلى مرتفعات الاستنارة بمعرفة النور الإلهي.

---

110 Orat.39.20.
111 Orat. 21.1.
112 Orat. 40.37.
113 Orat. 40.41.

وفي المثال الخاص الذي يقدّمه القديس غريغوريوس في العظة اللاّهوتيّة الثانية، مثال صعود موسى على جبل سيناء، فيُشبِّه القديس غريغوريوس، "وراء الله" (انظر: خر ٣٣: ٢٣) بأشعة الشمس التي تنعكس على المياه كظلال من نور.[١١٤] وهذا المقال يبيّن أنّ الله أعظم وأقوى من أن يُدْرك في كماله، ولكن مع ذلك فهو ينير على خليقته بمعرفته معرفة واقعيّة، وإن كانت تلك المعرفة جزئيّة وعلى قدر ما نستطيع.

المعمودية هي سر استنارة النفس

وكما أنّ المعمودية هي عمل نموذجي للتطهير المسيحي كذلك هي أيضًا عمل نموذجي للاستنارة الإلهيّة للنفس بالنور الإلهي، هكذا يرى ذلك القديس غريغوريوس. ففي العظات عن الظهور الإلهي، يوضّح أنّ نور المسيح المُتجسِّد يقود إلى الاستنارة التي يتقبّلها المسيحيون، ويصير لهم النور الحقيقي بمثابة علامة، فيقول:

> "مرة أخرى ينقشع الظلام، مرة أخرى يشرق النور... مرة أخرى يستنير شعب الله بعمود من نارٍ (انظر: خر ١٣: ٢١)، الشعب الجالس في الظلمة أبصر نور معرفة الأسرار الإلهيّة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكلّ قد صار جديدًا (٢ كو٥: ١٧)."[١١٥]

وفي نصٍّ آخر من العظات عن الظهور الإلهي، يتحدّث القديس غريغوريوس عن المعموديّة بوصفها استنارة *illumination* فائقة،

---

[114] Orat 28.3.
[115] Orat. 38. 2.

وكذلك عن الشفاء المتعدِّد الأوجه والتحوُّل الذي يحدث للإنسان في المعموديّة، ومعرفة الله الممنوحة بها. وكنوعٍ من تأكيد القديس غريغوريوس لرؤيته بأنّ المعمودية هي استنارة مسيحيّة عظيمة، فقد عدَّل المصطلح اليوناني التقليدي (بمعني استنارة) *φωτισμός* إلى *φώτισμα* ليكون له صدى صوتي مع المصطلح اليوناني *βάπτισμα*[١١٦] (بمعنى معموديّة) وهذا المصطلح يظهر كثيرًا في العظة الأربعين، مُتّبعًا بذلك نفس القراءة اللّفظية للتقليد السكندري القديم لكليمندس السكندري وديديموس الضرير والعلاّمة أوريجانوس.

ويوضّح القديس فكرته السابقة في وصف المعمودية فيقول:

"الاستنارة (مشيرًا إلى المعموديّة) .. هي إشراق النفوس وتحوُّل الحياة، واستغاثة الضمير لله. الاستنارة هي عونٌ لضعفنا، وقمعٌ للجسد، وسلوكٌ بحسب الروح، وشركةٌ مع الكلمة، وارتقاءُ الخليقة، وتحطيم الخطية، وشركة في النور، وانحلال الظلمة. هي مركبةٌ تقود لله، وموتٌ مع المسيح، واكتمالُ العقل، وترس الإيمان، ومفتاح ملكوت السموات، وتغيير الحياة، وإزالة الأوساخ، وحلُّ القيود، وتجديد كياننا المُركّب. لماذا أذهب إلى تفاصيل أكثر؟ فالاستنارة هي أعظم عطايا الله"[١١٧]

ويصف القديس غريغوريوس معموديّته هو بأنها كانت بمثابة استنارة إلهيّة، ففي حديثه عن شخصيته في إحدى قصائده الشعريّة يتكلّم عن رؤيا رآها لمنظر فتاتيْن عذراويتيْن هما العفّة والطهارة وهما

---

[116] C.f. see Clement of Alexandria, *Paed.*1.6, 26, 29-30. see also Didymus the Blind, *In Pss.*20-21 14.7; *Trin.* 1.15, 18; 2.1, 5, 7, 14; and Origen, *Fr.in Ps.* 44.11-14.

[117] Orat. 40.3.

واقفتان في محضر الربّ يسوع المسيح، تدعوانه ليشترك بحرارة معهما، حتّى يمكن أن ترشداه إلى السماء ليقف في بهاء الثالوث غير المائت.[١١٨]

لهذا نرى نقطتيْن محوريتيْن في وصف القديس غريغوريوس للمعموديّة، فإنه من خلالها ننال التطهّر والاستنارة، والتطهّر يفيد ضمنًا، إزالة الأدناس التي تقف في طريق الشخص لمعرفة الله؛ بينما الاستنارة توصف بأنها قبول المؤمنين لشعاعٍ من النور الإلهي، وأنه يجب على الشخص أن يتطهّر لكيما يستنير، ليصعد إلى مرتفعات التأمُّل ومعرفة الله، وذلك كما رأينا في الحديث عن الصعود على جبل سيناء.[١١٩] فالنقاوة تقود إلى الاستنارة،[١٢٠] والله يُنير الكائنات العقليّة على قدر نقاوتها، قائدًا إياهم من خلال الحبّ إلى التأمُّل فيه ورؤيته.[١٢١] لهذا يُدعى المسيح نورًا، لأنه هو ضياء النفوس التي تطهّرت في العالم، في هذه الحياة.[١٢٢] ويؤكّد قديسنا على ضرورة عمل الروح القدس فيقول: "ومن الروح يأتينا التجديد، ومن التجديد استعادة حالتنا الأولى، ومن هذه الاستعادة، تأتي معرفة من أعادنا"[١٢٣] لذا فالنقاوة هي بمثابة الإعداد، فضلاً على أنها أساسًا عمليًّا وفعّالاً للاستنارة. والعلاقة الديناميكيّة بين الاثنتين (النقاوة والاستنارة) تُمثّل حركة للمسيحي صوب الله، انطلاقًا من لحظة المعموديّة التي تُعطي البداية والأساس لتلك الحركة. ويمكننا ملاحظة سلاسة الحياة الروحيّة من خلال تنقُّل القديس غريغوريوس في كتاباته ما بين النقاوة

---

118 Carm. 2.1.45, carmen lugubre, here II.257-263; c.f. McGuckin, St. Gregory,*op.cit.*, pp.67-76.
119 Orat. 28.2-3
120 Orat. 39.8.
121 Orat. 40.5.
122 Orat. 30.20.
123 Orat. 30.28.

والاستنارة، وأحيانًا يجملهما معًا.[١٢٤] ومن خلال عملية التطهّر يستنير المسيحيون بازديادٍ، بنور الثالوث، وبهذه الفكرة يُعِدُّ القديس غريغوريوس سامعيه للمعموديّة، وذلك في عظته الأربعين.

ونرى أنه في حديث القديس غريغوريوس عن التطهُّر والاستنارة والمعموديّة في عظاته، لم يهدف إلى تقديم نظام نسكي شخصي صارم، لكنّه كان يهدف إلى حثّ سامعيه ليطهّروا أنفسهم لكي يتقبّلوا النور الإلهي الذي للمسيح، ويحملوا هذا النور في العالم.

معرفة الله تكون من خلال إعلان إلهي يقبله العقل بالإيمان

يرى القديس غريغوريوس أنّ الله يُعلِن عن نفسه لإدراكنا المحدود، بينما يظل هو ساميًا وفائقًا، والله بذلك يضع فعاليّة للنمو، بها نتحرّك من خلال الاشتياق إلى درجاتٍ أعظم من النقاوة والاستنارة ومنها إلى القامات المختلفة لمعرفة الله.

في العظة اللاّهوتية الثانية، يؤكّد القديس غريغوريوس بشدّة على محدوديّة قدراتنا البشريّة لمعرفة الله بواسطة العقل بمفرده، وذلك ليوجّه سامعيه إلى معرفة الله التي تأتي نتيجة الإعلان الإلهي، ويوضّح تلك الفكرة في نهاية العظة فيقول:

> "لندع الإيمان يقودنا أكثر من العقل، إن أدركت قصور الأخير في الأمور القريبة والمتعلّقة بك، وهو الأمر الذي يجعلك تعرف العقل والمنطق بما هو أبعد من العقل والمنطق."[١٢٥]

---

[124] Orat. 39.20.
[125] Orat. 28.28

في النصّ السابق نرى أنّ القديس غريغوريوس يؤكّد على أنّ معرفة الله تعتمد على الإيمان، وأيضًا في عظته الثانية على السلام، يرى أن الأمور التي هي أبعد من حدود إدراكنا وقدراتنا العقليّة يمكن معرفتها فقط بالإيمان.[١٢٦] فمن المعروف أنّ عمل الإيمان هو أن ترى ما هو أبعد من حدود عقلك المحدود، لكي تعرف الله الذي يفوق ويسمو فوق قدرات العقل الطبيعيّة.[١٢٧]

نجد، في فكر القديس غريغوريوس، أنّ العقل هو عطيّة الله للإنسان الذي قد خُلِقَ على صورته ومثاله، وأنّ العقل هو مركز الشخص البشري، والمَلَكَة الأولى التي بواسطتها يمكن أن نعرف الله، ونُدبِّر حياتنا المُركّبة.[١٢٨] و يؤكّد القديس غريغوريوس على أنّ العقل البشري محدود، ويمكن أن يفسد بالخطيّة. إذًا، لا نستطيع أن نعرف الله بمعزل عن الإيمان.[١٢٩] وفي العظة الثانية والثلاثين يؤكّد أيضًا قديسنا على ضرورة الإيمان لنوال الاستنارة.

ويشير القديس غريغوريوس في العظة اللاّهوتيّة الثانية، أنه بدون الإيمان والنعمة، لا يستطيع العقل أن يعرف الله ولا تدبيره للخلاص، وأنه يتعذّر على العقل أن يُدرِك الأبعاد المُتّسعة لحكمة الله؛[١٣٠] "فالإيمان يُكمِّل عقلنا."[١٣١]

ويهدف بذلك القديس غريغوريوس أن يحضّ سامعيه على ألاّ يعتمدوا على العقل وحده، لكنّه يوجِّه أنظارهم نحو الإيمان مُكمِّل

---

126 Orat. 22.11.
127 Orat. 14.33.
128 C.F. Orat.15.2; 27.5; 39.7.
129 Orat. 4.44.
130 Orat. 28.21.
131 Orat. 29.21

العقل.[١٣٢] ويؤكّد أيضًا قديسنا على أنّ معرفة الله تأتي فقط بالروح القدس، الذي يفحص أعماق الله.[١٣٣] (انظر: ١كو٢: ١٠) وبذلك نرى أنّ القديس غريغوريوس يجذب اللاّهوتيين نحو معرفة الله كما أعلن الله عن نفسه في شخص يسوع المسيح الابن الكلمة، بالروح القدس، في تدبير الخلاص.

ويصوِّر القديس غريغوريوس رؤيته لله في الحديث عن الصعود على جبل سيناء في العظة اللاّهوتيّة الثانية فيقول:

> "لقد أسرعت لأدرك الله وصعدت هكذا إلى الجبل، ودخلت الغمام، منعزلاً في داخلي عن المادة ... وعندما نظرت لم أكد أَرَ سوى وراء الله، وكنت محتميًا في الصخرة، بالكلمة، الذي صار جسدًا من أجلنا (انظر: خر ٣٣: ٢٣، يو١: ١٤)".[١٣٤]

في هذا النصّ يوضّح القديس غريغوريوس أنّه من خلال المسيح، الابن، الكلمة المتجسِّد، يمكن أن نبلغ إلى معرفة الله، وأنّ الاستنارة التي يتكلّم عنها ليست نوعًا عامًا من المعرفة الإلهيّة، لكنّها النور الفائق للثالوث القدّوس وقد اُستعلِن من خلال تجسُّد ربنا يسوع المسيح.

وفي وسط سلسلة العظات عن الظهور الإلهي، بمجرَّد تحوُّل القديس غريغوريوس من الحديث عن تجسُّد السيّد المسيح إلى الحديث عن الاستنارة الإلهيّة التي ينالها المسيحيون في المعموديّة، يضع عبارته التي

---

[132] McGuckin, St. Gregory, *op.cit.*, pp. 57-58, 288, 332.
[133] Orat. 28.6.
[134] Orat. 28.3.

تُلخِّص فكره اللاّهوتي بشأن معرفة الله، فيقول: "حتى إنّ غير المُدرك يصير من الممكن إدراكه."[١٣٥]

ونلاحظ أيضًا أنّ الأفكار التي تحدثنا عنها في العظات اللاّهوتيّة الأولى والثانية والعظات عن الظهور الإلهي، تُمثِّل نوعًا من التوضيح للأبعاد المُتّسعة للاّهوت المسيحي، التي تهدف لحركة اللاّهوتي نحو معرفة الله. وإنه بعمل الروح القدس والإيمان نتقبَّل شعاعًا من النور الإلهي الفائق لأجل معرفة الله غير المُدرك. وقد أعلن الله عن نفسه بتجسُّد ابنه الوحيد في تدبير الخلاص.

فبهذه الطريقة "يجب أن ندرس اللاّهوت" وذلك بحسب رؤية القديس غريغوريوس اللاّهوتي بشأن معرفة الله.

---

[135] Orat. 39.13

مجلة مدرسة الإسكندرية

يمكن الحصول على المجلّة من الأماكن الآتية:

الإسكندرية: ك. مارجرجس سبورتنج . ك. القديسين سيدي بشر . ك. مارجرجس والأنبا أنطونيوس . ك. محرم بك . العذراء جنكليز

القاهرة: م. أسقفية الشباب . م. المحبة . م. النيل المسيحية . م. بناريون . م. مجلة مرقس . م. دار أنطون . م. مارجرجس شيكولاني . م. سان سيمون . م. المنار . ك. مارجرجس هليوبليس . ك. العذراء أرض الجولف . ك. مارمرقس كليوباترا . ك. مارجرجس خمارويه . ك. مارجرجس الجيوشي . ك. العذراء الوجوه . ك. القديسة دميانة بابادبلو . ك. العذراء روض الفرج . ك. مارجرجس جزيرة بدران . ك. الملاك ميخائيل طوسون . ك. العذراء مسرة . ك. المرقسية . ك. العذراء والأنبا بيشوي العتبة . ك. الملاك غبريال السقايين . ك. مارمينا فم الخليج . ك. أبي سيفين مصر القديمة . ك. القديسة بربارة مصر القديمة . ك. العذراء الدمشرية . ك.القديس يوسف مصر القديمة . ك. مارمرقس المعادي

الأديرة: دير السيدة العذراء برموس . دير القديس الأنبا بيشوي . دير السيدة العذراء السريان . دير القديس أنبا أنطونيوس . دير الأنبا ابرآم الفيوم . دير الملاك غبريال الفيوم

لطلب الكميّات يمكن الاتّصال

بالأستاذ بنيامين / ت:٠١٢٧٦٩٦١٤٠

للاشتراك /

الأستاذ ناجي نبيل / ت : ٠١٢٦٠٩٩٥٥٠

alex.sch.shipment@gmail.com

سعر النسخة	١٥ جنيهًا مصريًا
للاشتراك السنوي (داخل مصر)	٥٠ جنيهًا مصريًا (شاملة مصاريف البريد)
للاشتراك السنوي (خارج مصر)	٥٠ دولارًا أمريكيًا (شاملة مصاريف الشحن)

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

الكتاب الأول

اللاهوتي ومعرفة الله

الطاهر هو من يمكنه الاقتراب من الله
بالطريقة التي يحياها
أي من خلال التطهر
أتريد أن تصبح لاهوتيًا يومًا ما
وتكون جديرًا بمعرفة اللاهوت،
احفظ الوصايا
اجعل طريقك مستقيمًا
من خلال التأمل في الوصايا
حيث إن الأعمال المسيحية
هي درجات الارتقاء إلى الثيؤريا

القديس غريغوريوس اللاهوتي